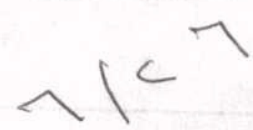
وزارة التربية والتعليم
بالتعاون مع
المركز القومي
للبحوث التربوية والتنمية

سلسلة الكتب المترجمة (٨)



نحو بناء حضارة جديدة
سياسات الموجة الثالثة

تأليف

ألفن وهايدى توفلر

مؤلفى كتاب « صدمة المستقبل »

تلخيص وتعليق

المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

القاهرة ١٩٩٥

تنفيذ قطاع الكتب

المحتويـــــــــــات

تصدير

الدكتور حسين كامل بهاء الدين

وزير التعليم

ها قد وصلت هذه السلسلة إلى الكتاب الثامن ، وتنوعت موضوعاتها من المستقبليات، إلى التفكير ، إلى مدرسة المستقبل ، إلي نظم الإشراف والتوجيه ، وما إلى ذلك ، واليوم تعود هذه السلسة مرة أخرى إلى المستقبليات . إذ أن حرصى على أن يستشرف المعلمون والمعلمات ، وجميع العاملين والعاملات فى الحقل التربوى صورة المستقبل يمثل أولوية كبرى فيما أبذله من جهود لتطوير التعليم . إن العمل التربوى بكل صوره ليس إلا إعداد القوى البشرية للتعامل مع متغيرات المستقبل ، ومن ثم فإن أى جهد فى التعرف على معالم المستقبل لهو أمر بالغ الأهمية لجميع التربويين والتربويات على كافة المستويات .

لقد حرصت على أن يكون الكتاب المختار للمستقبليات من تأليف أحد المتخصصين فى علوم المستقبليات . ولحسن الحظ أن الكتاب الذى أقدم له ينتمى إلى عالمين هما ألفن وهايدى توفلر.

وقد بدأ رحلة البحث العلمى فى المستقبليات منذ أكثر من ربع

قرن ، فقد أصدرا فى عام ١٩٧٠ كتاب " صدمة المستقبل" الذى نبه الأذهان إلى السرعة المتزايدة للتغير ، وما تؤدى إليه من إرباك الناس والمؤسسات والحكومات ، وما تحتوى عليه من شعور بصدمة المستقبل . وفى عام ١٩٨٠ أصدرا كتاب " الموجه الثالثة" الذى كشفا فيه عن فهم متعمق لحركة التغيير ،وانتقاله من حضارة إلى أخرى، أو على حد تعبيرهم من موجة إلى أخرى ، واليوم يتوج المؤلفان آمالهما العلمية فى المستقبليات بهذا الكتاب الصغير الحجم ، الخطير المضمون ، والذى يلخص الأفكار المستقبلية التى قدمها المؤلفان ، ثم ينتقلان إلي وضع تصور لمعالم الحضارة الجديدة ، أو بالأحرى معالم الموجة الثالثة التى أخذت طريقها إلى عالم اليوم.

إن أول طبعة ظهرت لهذا الكتاب كانت في أكتوبر ١٩٩٤ ، ثم أعيد طبعه بمقدمة جديدة من المؤلفين ، وتمهيد أو تصدير من السيد/ نيوت جنجريتش المتحدث الرسمى باسم مجلس النواب الأمريكى ، وظهرت هذه الطبعة التى يُقدم هذا الكتاب ملخصاً لما ورد بها من أفكار فى يناير ١٩٩٥ . وبعد أن قرأت هذا الكتاب واستمتعت به طالبت الأخ الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال أن يقوم المركز القومى للبحوث التربوية بترجمته ، وأن يقدم بنفسه تلخيص ما به من أفكار لأهميتها لجميع العاملين فى الحقل التربوى ، بحيث نوفر هذه الرؤية المستقبلية للجميع.

إن الكتاب يقدم مفهوما جديدا هو مفهوم "الموجة " الذى وضعه ليحل محل مفهوم الحضارة ، ورغم أنه لاينكر المفهوم الأخير ، إلا أنه يراه مفهوما استاتيكياً لايعكس ما يحدث فى انتقال الحضارات ، وبخاصة التى نقبل عليها ، إذ أن أهم خاصية لها سرعة تغير عناصرها ، وتسارع إيقاعاتها حتى عن المشاركين فى صنعها . وهى بذلك فى حاجة إلى مفهوم دينامى متحرك، ومفهوم " الموجة" يوفر هذا التصور ، إذ تتدافع الموجة لتتلو موجة أخرى ، وعادة ما تلتقى الموجتان فى نقطة ما ، ويحدث بينهما مد وجذب ، قبل أن تسيطر الموجة الجديدة .

والكتاب يقدم لنا تفسيرا لحركة التاريخ حيث يرى أن البشرية قد مرت بالموجة الأولى وعاشتها لآلاف السنين ،وهى الموجة الزراعية، أوالثورة الزراعية .ومنذ ثلاثمائة عام انتقلت الإنسانية إلي موجة ثانية هى الثورة الصناعية . واليوم تعيش البشرية إرهاصات الموجة الثالثة وهى ثورة المعلومات . ويتنبأ الكتاب بما سيحدث من صراع كبير بين الموجة الثانية التى ماتزال مؤسساتها ورموزها وسياسيوها يتواجدون على الساحة ، وبين الموجة الثالثة التى تتسارع خطاها لتفرض وجودها فى إطار "صدام الحضارات" ليتولد " البديل النهائى" الذى يطرح معالمه ومبادئه ، وتنبؤاته المستقبلية.

قد يتفق القارىء مع بعض ما ورد فى الكتاب ، وقد يختلف

مع البعض الآخر ، ولكن المؤكد أن هناك تغيراً حادثاً على الساحة العالمية منذ سقوط حائط برلين ، وهو ما يدعونا إلى قراءة هذا الكتاب بإمعان الذى يخرج من الموجة الثانية " ثنائية الانشطار" ،أو ثنائية القطب ، إلى الموجة الثالثة " ثلاثية الانشطار"، أى التى يتم فيها صراع بين الموجة الثالثة والموجتين الأولى والثانية فينقسم العالم إلى ثلاثة أنواع تعكس الموجات الحضارية الثلاث . وهو فى هذه الحركة يركز على دور المعلومات والمعرفة ، والتكنولوجيا المتقدمة القائمة على المعرفة . ونحن نعيش عصر المعلومات ، وشبكات المعلومات العالمية، وما تفرضه من تحديات، ومن ثم فكما يرى المؤلفان ألفن وهايدى توفلر أن إرهاصات الموجة الثالثة قد ولدت ، وأن الصراع قائم ، وأن التغيرات حادثة ، وأننا فى المجتمع التربوى بحاجة إلى التعامل مع متغيرات عصر المعلومات ، وتكنولوجيا شبكات المعلومات العالمية.

ويشرفنى أن اطمئن القارىء العزيز أن وزارة التربية فى سعيها للاستجابة لتوجيهات السيد الرئيس محمد حسني مبارك بتنفيذ المشروع القومى لتطوير التعليم حتى عام ٢٠٠٠ قد بدأت التعامل مع عصر المعلومات حيث ربطت الآن حوالى ١٠٠٠ مدرسة بشبكة المعلومات الدولية "انترنت" ليتعامل المعلمون والطلاب في جميع أنحاء مصر مع أحدث المعلومات التى تقدمها هذه الشبكة العالمية.

ونحن نعمل على زيادة عدد المدارس المرتبطة بشبكات المعلومات حتى يتم ربط جميع المدارس بها قبل عام ٢٠٠٠ إن شاء الله.

إن عناصر الموجة الثالثة سريعة التغير ، وإيقاعها متسارع للغاية، ونحن فى مصر بقيادة السيد رئيس الجمهورية ، وفى ظل إيمانه بأن التعليم جزء من الأمن القومى لمصر ، نسارع الخطى لنعيش متغيرات الموجة الثالثة وتكنولوجياتها المتقدمة ، وإنا إن شاء الله لقادرون على معايشة المتغيرات ، والإسهام في حركتها.

أرجو أن يكون هذا الكتاب نافعا لكل قرائه من المعلمين والمعلمات، وناظرات المدارس ونظارها ، وقيادات التربية والتعليم فى المحافظات ، أو الديوان ، وأعضاء هيئة التدريس بكليات ومعاهد التربية ، وجميع المواطنين ، بل وجميع القراء فى الوطن العربى . وأرجو أن تكون قراءته دافعا لحوار مثمر بناء يؤدى بأهل التربية ، والثقافة والإعلام ، والسياسة ، والمستقبليات إلى التعاون في رسم طريق المستقبل المأمول لمصرنا الغالية .

١٩٩٥/٦/٢٩

الدكتور حسين كامل بهاء الدين

وزير التعليم

تقديــــم

الدكتور عبد الفتاح أحمد جلال

مدير المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

قدم الأستاذ الدكتورحسين كامل بهاء الدين وزير التعليم لى من مكتبته الخاصة كتاباً عنوانه " نحو بناء حضارة جديدة ، سياسات الموجه الثالثة " للترجمة ضمن سلسلة الكتب التى يقوم المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية بترجمتها وتقديم ملخص لما تحتويه من أفكار ليطلع عليها جميع العاملين فى الحقل التربوى من معلمين وإداريين وأساتذة وقيادات تعليمية وتربوية ، فيتعرفون على الجديد في الفكر الإنسانى ، ويتعاملون مع معطيات العصر الذى نعيشه.

ويتميز هذا الكتاب بأنه لايقف عند حدود الوقت الحالي ، وإنما يجتهد ليقدم رؤاه للمستقبل . ومن ثم ، فهو كتاب فى المستقبليات، وألف الكتاب الثنائى ألفن وهايدي توفلر ، وهما من المتخصصين فى علوم المستقبليات منذ صدر لهما عام ١٩٧٠ كتاب "صدمة المستقبل" . والكتاب الذي نقدم له ظهرت أول طبعة له فى أكتوبر

١٩٩٤، ونحن نلخص الطبعة التي صدرت في يناير ١٩٩٥.

بدأت هذه الطبعة بتمهيد من المؤلفين يبين أن الأزمات تتلاحق على الولايات المتحدة الأمريكية في وقت واحد ، وتتناول الأنظمة المختلفة بما فيها نظام الأسرة ، ونظام القيم ، والنظام السياسى ، وأن هذه الأزمات لاتنشأ من الفشل ، وإنما هي نتاج النجاحات التى تحققت ، وأن أمريكا تمر بنهاية مرحلة ، وتعيش مرحلة تحول كبرى ، وأن الوقت قد حان للخطوة الكبيرة التالية ، والتي تتلخص على حد تعبير المؤلفين في " أن نحدد بوضوح وجلاء الفارق بين سياسة حراس المؤخرة الذين يريدون أن يحافظوا على ماض عقيم أو يستعيدوه ، وبين هولاء الذين هم على استعداد لأن يقوموا بعملية التحول إلى ما يطلق عليه (مجتمع عصر المعلومات للموجة الثالثة" . ويتنبآن بأن الموجة الثالثة من التغيير ستقضى علي كثير من الهياكل السياسية التي سبقتها ، والتي تنتمى إلى الموجه الثانية.

وقد بين المؤلفان فى هذا التمهيد أن كتابهما "صدمة المستقبل" الذي ظهر فى عام ١٩٧٠ قد قدم "مفهوم الأزمة العالمية للمجتمع الصناعى ، وأنه قد تحقق ماتنبآ به من تسريح المصانع لعدد كبير من العمال اليدويين ، ومن تمزق فى بنية الأسرة ، وتفرق فى وسائل الإعلام الجماهيرية ، وتنوع فى قيم الحياة وأساليبها ..... وهذا

يفسر السبب فى أن كثيرا من صيغ وأشكال التحليل السياسي القديمة - إن لم يكن كلها - لم يعد هناك مجال لتطبيقها ، فثمة عبارات مثل جناح اليمين ، وجناح اليسار ، والليبرالى ، والمحافظ ، قد أفرغت من معانيها المألوفة . ففى روسيا نتحدث هذه الأيام عن الشيوعيين على أنهم محافظون ، وعن المصلحين علي أنهم من الراديكاليين ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية قد يكون دعاة الليبرالية الاقتصادية من المحافظين من الناحية الاجتماعية ، والعكس بالعكس ، فنجد شخصاً مثل رالف نادر - وهو من جناح اليسار- يتحد مع بات بوكانان - وهو من جناح اليمين - فى معارضته اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية" .

وقد تناول المؤلفان فى التمهيد علاقتهما بالسيد/ نيوت جنجريتش المتحدث الرسمى باسم مجلس النواب الأمريكى حاليا ، والتي ترجع إلى عام ١٩٧٠ حيث التقيا به في مؤتمر تعليمي عقداه في شيكاغو لمناقشة أفكار كتابهما " صدمة المستقبل"، ثم التقيا به فى عام ١٩٧٥ حين طلب الديمقراطيون فى الكونجرس منهما تنظيم مؤتمر حول "المستقبلية" ، وحضره جنجريتش الجمهورى الوحيد آنذاك . وقد أدى هذا المؤتمر إلى إنشاء لجنة في الكونجرس تحت اسم "لجنة الدراسات المستقبلية . وهذه اللجنة تضم مجموعة من الأعضاء

ترأسها بالتناوب سناتور شاب يدعى " آل جور " من أعضاء الكونجرس ، وهو الآن نائب رئيس الجمهورية بل كلينتون ، وهو الرجل الذى وضع قاعدة تحتية للمعلومات فى الخطة القومية للعمل. وتستمر علاقة المؤلفين بنيوت جنجريتش حيث أعتاد في خطبه التي كان يلقيها ، وفي المؤتمرات الصحفية التى كان يعقدها الإشارة إلى كتاب "الموجة الثالثة" للمؤلفين الذى صدر عام ١٩٨٠، وأخذا منه أجزاء متعددة ضمناها الكتاب الذى نحن بصدد تلخيصه والتعليق عليه .

وينتهى المؤلفان في التمهيد إلى القول بأن الموجة الثالثة ليست سياسة تتعلق بالتكنولوجيا والاقتصاد فحسب، وإنما هى تضم في ثناياها الأخلاق ، والثقافة ، والفكر ، كما تضم المؤسسات، والبنية الأساسية . إنها - فى نظرهما - تتضمن تحولا حقيقيا في شئون الإنسان .

يعقب هذا التمهيد تقديم للسيد/ نيوت جنجريتش تحت عنوان "دليل المواطن للقرن الحادى والعشرين " بدأه بعرض التغيرات السياسية ذات الأبعاد التاريخية قبل انهيار الإمبراطورية السوفيتية، وتراجع الهيكل السياسي فى إيطاليا ، والزوال الفعلى للحزب الحاكم فى كندا فى انتخابات ١٩٩٣ ، وانهيار الحزب

الديمقراطي الليبرالى اليابانى بعد احتكار للسلطة دام أربعين عاما. ويذكر حالة الذهول والاضطراب التى تصيب السياسيين ، والصحافيين، والأكاديميين للسرعة التى تحدث بها هذه التغيرات ، والدرجة التي تصل إليها ، وماتؤدى إليه من معاناة عند المستفيدين من الماضي تفوق الأمل فى المستقبل .

ويرى السيد نيوت جنجريتش أن كلا من ألفن وهايدي توفلر قد قدما الوسيلة حتى نتبين الفوضى الحالية فى نطاق الإطار الإيجابى لمستقبل دينامى مثير ، إذْ أنهما يعلمان ويكتبان عن المستقبل طيلة ربع قرن من الزمان . " فقد أصبح عنوان كتابهما الأول " صدمة المستقبل " فى عام ١٩٧٠ مصطلحا عالميا لمقياس التغير الذي نعيشه . (وكان هذا الكتاب أكثر مبيعا في اليابان منه فى الولايات المتحدة بالنسبة للأفراد) . ولقد لفت هذا الكتاب الانتباه إلى سرعة التغيير التى تهدد باكتساح الناس فى كل مكان ، وكذلك الوسيلة التى أربك بها هذا التغيير الأفراد والأعمال التجارية والمجتمعات والحكومات" . ويشير مؤلف المقدمة إلى كتابهما الثانى "الموجة الثالثة" ، إذ يعتبره إسهاما أكثر أهمية لفهم هذا الزمن الذي نعيشه. " ففى الموجة الثالثة انتقل المؤلفان من الملاحظة إلى وضع إطار يتسم بالتنبؤ ، فقد وضعا ثورة المعلومات في منظورها

التاريخى مع عقد مقارنة بينها وبين اثنين من التحولات الكبيرة الأخرى ، وأعني بهما الثورة الزراعية ، ثم الثورة الصناعية . وحسبما يقول المؤلفان ، فإننا نستشعر أثر الموجة الثالثة الكبيرة للتغير فى التاريخ ، ومن ثم، فنحن نكون - نتيجة لذلك - فى الطريق إلى بناء حضارة جديدة . "

تبين المقدمة أن المؤلفين أدركا - بحق - أن تنمية المعلومات وتوزيعها قد أصبح الآن الإنتاجية المركزية ، ونشاط القوة أو الطاقة للجنس البشرى . إننا نرى ثورة المعلومات على كل جبهة تغير نسيج الحياة وخطواتها وإيقاعها ومادتها . وقد صار لها تأثير قوى على استراتيجيات رجال الأعمال ، والقادة السياسيين خارج الولايات المتحدة ، في الصين ، واليابان ، وسنغافورة ، والمناطق الأخرى التي تتقدم بسرعة ، والتي تركز الآن على التكنولوجيا العالية . والتنمية المكثفة للمعلومات . ويرى جنجريتش أن أهم تطبيق لمنوذج الموجة الثالثة ما تم من تطوير للتعليم في إطار ثورة المعلومات فى الجيش الأمريكى فى الفترة من ٧٩ - ١٩٨٢ ، والذي أدى إلى نظام أكثر مرونة ، سريع الخطي ، لامركزى ، غنى بالمعلومات ، يعمل على تقييم أرض المعركة وتركيز الموارد ، ويوظف القيادة غير المركزية المدربة على أعلى مستوى ، حتي يسحق خصما ينتمى لحقبة العصر

الصناعي التى لم تتوافر لها هذه الميزات . وقد ظهر أثر ذلك فى حرب الخليج "عاصفة الصحراء " التى تمت فى عام ١٩٩١.

ويضرب جنجريتش تطبيقا آخر ، ذلك الذى تم فى الخامس من يناير عام ١٩٩٥ ، حيث دلفت الموجة الثالثة إلى الديمقراطية الأمريكية في شكل "توماس THOMAS" ، وهو نظام المعلومات الحالى فى مكتبة الكونجرس الذى يتيح لكل مواطن أن يحصل على نسخ من التشريعات، وتقارير اللجان، والوثائق الأخرى للكونجرس .

" وفى غضون الأيام الأربعة من تشغيل هذا النظام استخدم ثمانية وعشرون ألفا من الأفراد ، وألفان وخمسمائة من المؤسسات نظام "توماس" لتفريغ ١٧٥١٣٢ وثيقة . والحق أن عدد من استخدم نظام توماس من المواطنين فى خلال أربع وعشرين ساعة يفوق عدد من استخدم مكتبة الكونجرس فى أسبوع ".

وينتقل الكتاب إلى الفصل الأول ، والذى اختار له المؤلفان عنوان " الصراع الأكبر" حيث يبدأ ببيان المدى الزمنى الذي استغرقته الموجة الأولى للتغيير ، وهى الثورة الزراعية ، والذي يتمثل فى آلاف السنين حتي فقدت هذه الموجة قوتها ، أما الموجة الثانية، وهي ظهور الحضارة الصناعية فقد استغرقت ثلاثمائة عام فقط ، وينتهى المؤلفان إلى أن التاريخ يسرع الخطي ، ومن المحتمل أن تدخل الموجة

الثالثة التاريخ بقوة ، وتستكمل مقوماتها في بضع عشرات قليلة من السنين . ومن الطبيعي أن تحمل الموجة الثالثة طريقة جديدة للحياة " تقوم على أساس مصادر الطاقة المتنوعة والمتجددة ، أو على أساليب للإنتاج تجعل معظم خطوط التجميع في المصانع شيئا باليا عتيقا ، وعلي عائلات لانووية جديدة ، وعلى مؤسسة جديدة يمكن أن نطلق عليها " الكوخ الإليكتروني " ، وعلى مدارس ومؤسسات متغيره جذريا للمستقبل. وهذه الحضارة الناهضة تضع قواعد جديدة للسلوك".

فى إطار هذه الحركة المتسارعة للتاريخ يرى المؤلفان " أننا الجيل الأخير لحضارة قديمة ، وفي نفس الوقت ، الجيل الأول لحضارة جديدة، وأن الكثير مما نعانيه من اضطرابات وهزات شخصية ، وألم وارتباك يمكن أن نرجعه مباشرة إلى الصراع في داخلنا ، وفى داخل مؤسساتنا السياسية بين حضارة الموجة الثانية التى تندثر، وحضارة الموجة الثالثة الناهضة التى ترعد لتفسح لها مكانا ."

ويستدل المؤلفان على ذلك بأن نقطة التحول التاريخية الأخيرة وصلت إلى أمريكا في العقد الذى بدأ نحو عام ١٩٥٥ ، وهو العقد الذى شهد لأول مرة التفوق العددى لأصحاب الياقات البيضاء - أي الفئات- على أصحاب الياقات الزرقاء ، أى العمال . وهذا العقد

نفسه هو الذي شهد لأول مرة انتشار واستخدام الكمبيوتر ، والرحلات التجارية بالطائرات النفاثة ، وابتكارات أخري بالغة الأهمية والتأثير . ومنذ ذلك التاريخ أخذ التصادم بين الموجتين الثانية والثالثة فى الظهور على شكل مقدمات سياسية جديدة . وقد أدى هذا الصراع إلى "مجزرة" للمفردات السياسية التقليدية والقضاء عليها ، وإلى توترات سياسية تمزق المجتمع الأمريكى اليوم ." وهذا الصراع هو " النضال الكبير من أجل الغد" . وهذه المواجهة بين أصحاب المصالح المكتسبة من الموجة الثانية وبين أنصار الموجة الثالثة تسرى حاليا مسرى التيار الكهربى فى الحياة السياسية لكل دولة ٠"

ينتقل المؤلفان فى كتابهما : نحو بناء حضارة جديدة ، سياسات الموجة الثالثة " إلى الفصل الثاني حيث جعلا له عنوانا "صدام الحضارات " .

يبدأ هذا الفصل بالقول بأن الحضارة الصناعية على وشك الأفول ، وأن انحلالها كان واضحا بالفعل منذ عام ١٩٧٠ عندما تحدث المؤلفان عن الأزمة العامة للتصنيع في كتابهما "صدمة المستقبل" ، والتي تحمل في طياتها التهديد بوقوع المزيد من الحروب ، التى سوف تكون حروبا من نوع جديد . وينتقل الفصل

الثاني إلى ما انتهي إليه الكتاب في الفصل الأول عن الصراعات حيث يعلل استخدامه لعبارة " موجات التغيير " قائلا:

" لأن التغيرات الهائلة في المجتمع لاتحدث دون أن يصاحبها صراعات ، فإننا نعتقد أن استخدام عبارة " موجات التغيير" للتعبير مجازا عن التاريخ ، هى أكثر دينامية وأكثر قدرة على التعبير بدقة عن المعنى المطلوب ، من الحديث عن التحول إلى ما بعد الحداثة . إن الموجات متحركة دينامية ، وعندما تتلاطم الأمواج وتصطدم كل منها بالأخرى تظهر التيارات المتعارضة القوية ، وتنطلق ، وعندما تتصادم موجات التاريخ تتصادم حضارات بأكملها . وهذا يلقى الضوء على الكثير الذى يبدو - بغير ذلك - عشوائيا ، ولامعنى له فى عالم اليوم ."

إن المؤلفين يفسران التغييرات الاقتصادية والاستراتيجية الحادثة في عالم اليوم بنظرية الموجة ، وما تحمله في طياتها من صراع بين الموجات الحضارية ، ويرفضان ماعدا ذلك من تفسيرات مثل الصراع الأساسى الذي تواجهه وهو صراع بين الإسلام والغرب ، أو بين بقية دول العالم والغرب ، أو أنه دليل على انهيار أمريكا ، أو أنه تعبير عن نهاية التاريخ .

إن نظرية الموجة تفسر الصراع الرئيسي الذي حدث بين الدول

الصناعية للموجة الثانية وبين الدول الزراعية للموجة الأولى . وكان هذا النضال هو الذى حدد كشكل رئيسي شكل العالم إلى عهد قريب، ورسم الإطار الذي فى نطاقه وقعت معظم الحروب . واليوم - كما يرى المؤلفان - يختلف وضع حضارات العالم ، فنحن نسرع الخطي إلى بنية مختلفة تماما للقوة سوف تؤدي إلى وجود عالم لاينقسم إلى نصفين فحسب ، بل إلى ثلاث حضارات متعارضة ومتنافسه : الأولى تمثلها الفأس ، والثانية يمثلها خط التجميع ، والثالثة يمثلها الكمبيوتر . والسباق التنافسى علي مستوى العالم سوف تكسبه الدول التي تكمل تحولها وانتقالها للموجة الثالثة بأقل قدر من الاضطرابات والاهتزازات الداخلية.

ويتضمن هذا الفصل إرهاصات سيطرة دول الموجة الثالثة على ماعداها من الدول ، وانتهاء عهد سيطرة الدولة على سيادتها، وعلى أرضها ، وانتهاك الاستقلال الوطنى .

إن الأقمار الصناعية التى ترصد كل تحرك على وجه الأرض ، والقنوات الإعلامية الفضائية التى تبثها الأقمار الصناعية فى كل مكان من العالم تنتهك - اليوم - الاستقلال الوطنى ، والسيادة الوطنية . ومع ذلك ، فإن الأمر يحتاج إلى تفاهم دولي لكى لايتحول هذا الانتهاك إلى تضييع الثقافات الوطنية ، وإذابتها

فيما يسمى " بالثقافة العالمية " ، وإلا فإن العالم سيقبل على مرحلة يشتد فيها الصراع من أجل سيطرة قوة عظمي امتلكت مفاتيح الموجة الثالثة على بقية أنحاء العالم . وهو ما كاد يتنبأ به المؤلفان في الفصل الثاني من الكتاب ، وإن لم يحدد أية دولة من بين الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان، وأوربا ، ستتمكن من التحول الكامل إلي حضارة الموجة الثالثة ، فتسيطر على العالم .

إن التسليم بكل ماقاله ألفن وهايدي توفلر في هذا السياق قد يؤدى بالدول الفقيرة والنامية إلى التسليم بسيطرة الدول القليلة التي تمتلك حضارة الموجة الثالثة ، ويفتح الباب لظاهرة جديدة من الاستعمار يسعون إليها من غير حروب باستخدام التكنولوجيا المتقدمة ، وإن لزم الأمر - فعلى حد تعبير المؤلفين - " يمكن أن يثير ما يسفر عن ذلك من صدامات - والتى تعكس الاحتياجات المتباينة جدا لحضارتين مختلفتين جذريا - بعضا من أسوأ المعارك التي يراق فيها الدماء في السنوات القادمة " !!! .

وينتقل ألفن وهايدي توفلر إلى الفصل الثالث الذي جعلا عنوانه " البديل النهائى" وهو المعرفة والمعلومات . وفي هذا الفصل يكشفان عن أن النظم الاقتصادية في الموجة الثانية قامت على قاعدة من المعرفة أنتجها العقل البشري عبر آلاف السنين منذ

اكتشاف مهارات الكتابة والحساب إلى المعلومات العلمية التى كانت وراء الثورة الصناعية . ومع ذلك ، فقد أهمل رجال الاقتصاد والأعمال المعرفة - رغم أهميتها - عند حساب مدخلات العمليات الإنتاجية ، حيث يقتصرون على رأس المال ، والعمالة ، والأرض .

وقد أخذ المؤلفان في هذا الفصل يوضحان ملامح عصر المعرفة الذي نعيشه ، حيث أنشأنا شبكات المعلومات ، وربطنا المفاهيم بعضها ببعض ، وقمنا بتدعيم قوة الاستدلال وتسلسله ، وتم استحداث نظريات جديدة ، وافتراضات وتطورات مبنية على لغات جديدة ، وقواعد جديدة ومنطق جديد . إن الانتفاضة الضخمة الكبيرة التى تحدث فى قاعدة معرفة المجتمع هي التى تفسر ظهور اقتصاد الموجة الثالثة شديدة الرمزية Super - Symbolic .

وقد كشف هذا الفصل عن أن الحقيقة الجديرة بالاهتمام اليوم أنه من بين كل الموارد التى تحتاجها الأعمال لتكوين ثروة ليس هناك أكثر أهمية من المعرفة فهى طليقة الحركة ، متعددة الاستعمالات ، ولها كيمياؤها / لقد حققت ثورة المعلومات والمعرفة استبدال مواد بأخرى أقل تكلفة ، وتوفيراً فى تكاليف النقل والتخزين ، وتكاليف الطاقة ، وتوفير الوقت ، والمكان ، وأصبح للمعلومات تفاعلاتها - كتفاعلات المواد الكيميائية - التي أدت إلى التغيير فى كثير من

عناصر الإنتاج ، وإلي توليد مواد جديدة . لقد أدي هذا التغيير إلى التقليل من حجم رأس المال المطلوب للإنتاج . وهكذا صارت المعرفة والمعلومات هي البديل النهائى ، إذ أنها تقلل الحاجة إلى المواد الخام، والعمالة ، والوقت ، والمكان ، ورأس المال ، وبقية المدخلات لتصبح المعرفة هى المورد الرئيسى لأي اقتصاد متقدم ، مما أدى الي ارتفاع قيمتها .

ومن هنا ينطلق المؤلفان ليفصلا جوانب المعرفة التى تحقق اقتصاديات الموجة الثالثة ، وذلك في الفصل الرابع الذي اتخذا له عنوانا يعكس الملامح الرئيسة لدور المعرفة في الاقتصاد المتقدم للموجة الثالثة وهو : " الطريق إلى صناعة الثروة ". وتتلخص هذه الملامح في أن المعرفة - كما بينا سابقا - تحل محل عوامل الإنتاج ، وفى القيم غير الملموسة للمعرفة، والتي تجعل قيمة الشركات الناجحة في الموجة الثالثة تكمن فى قدرتها على اكتساب المعرفة، وتوليدها ، وتوزيعها ، وتطبيقها استراتيجيا وعمليا ، وليس في قيمة الأصول الثابتة لديها من مبان ، وآلات ، وما إلى ذلك .

أما الملمح الثالث لاقتصاديات الموجة الثالثة فهو الإنتاج غير المتكتل أو بالتجزئة ، وهو عكس الإنتاج الجماهيرى أو بالجملة أو الغزير . وقد سبق أن بينا أن هذا الملمح - وهو يهدف إلى إنتاج

أشياء مختلفة ومتباينه ورخيصة ومناسبة لرغبات العملاء - سيؤدى إلى تفكك أسواق التجارة الكبيرة ، والوصول إلى المستهلك مباشرة من خلال استخدام نظم القنوات التلفزيونية ، وشبكات المعلومات ، والشراء من خلال الكمبيوتر والبريد .

ويتناول الملمح الرابع التغيرات التى تصيب عنصر العمل في اقتصاديات الموجة الثالثة ، والتي تدور حول اختفاء العمالة المعتمدة على المهارة الضعيفة ، والقوة العضلية لتحل محلها المهارة ذات المستوى المرتفع من العمالة المتخصصة . وتستوي العمالة غير المباشرة مع العمالة المباشرة فى الإنتاج إن لم تكن قيمة إنتاج الفئة الأولى أعلى . أما الملمح الخامس فيتركز حول الحاجة المستمرة إلى الابتكارات لتحقيق القدرة على المنافسة . ويدور الملمح السادس حول التغير فى وحدات العمل ، ونطاقه ، ومداه ، إذ سيصغر نطاق العمليات فى الكثير من المنتجات ، وستحل الشركات الصغيرة الحجم، والقليلة التعقيد محل الشركات الكبيرة الحجم والبالغة التعقيد.

أما الملمح السابع فيدور حول التغيرات فى التنظيم من الأشكال الهرمية إلى تنظيمات المصفوفة Matrix، والأخذ بما يجرى من تغييرات منها- على سبيل المثال - إعادة الهندسة Re - engineering ،

والتى تدور حول عمليات الإنتاج ، والأنشطة والبرامج بدلا من الاهتمام بالتقسيمات النمطية ، والتخصصات ، والأسواق . ويدور الملمح الثامن - وبخاصة في الأعمال المعقدة - حول الحاجة الى استخدام " تكامل النظم System integration ، مما يفرض الحاجة المتزايدة إلى المعلومات . ويدور الملمح التاسع حول أهمية إنشاء بنية أساسية للمعلومات بحيث تتكامل جميع البيانات والمعلومات أمام الإدارة فيقل وقت اتخاذ القرار . وقد رصدت اليابان ٢٥٠ بليون دولار أمريكى لتطوير شبكات للمعلومات أفضل وأسرع خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة، ويدرس البيت الأبيض الأمريكى خطة لإقامة " طريق سريع أعظم للمعلومات" Information Superhighway . ويهتم الملمح العاشر والأخير لاقتصاديات الموجة الثالثة بعنصر الإسراع،حيث سيكون للمزيد من السرعة أهمية كبيرة، وسيكون للجزء من الزمن أهمية قصوى . وفى ضوء ذلك ، يرى البعض أن المقولة " الوقت هو النقود " ستعتبر بالية ليحل محلها " إن كل فاصل من الوقت أكثر أهمية من الفاصل الذي سبقه" . لقد أصبح الوقت متغيراً حاكماً ، وأصبحت اقتصاديات السرعة هى الأساس فى الموجة الثالثة.

من هذه الملامح العشرة لاقتصاديات الموجة الثالثة التى أصابها

تقدم ملموس في التسعينيات ينتقل المؤلفان إلى الفصل الخامس من الكتاب ، والذى يتناول ما ترتب علي التغير في ملامح الاقتصاد من الموجة الثانية إلى الموجة الثالثة من عدم اعتماد على القوى العاملة ، وذلك فى الفصل الخامس الذي أسماه ألفن وهايدي توفلر "المسميات المادية" . ومنه نتبين أن تحولا واضحا قد ظهر فى تكوين قوة العمل ، وشكلا جديدا لظاهرة البطالة . فمنذ الستينيات ساد التحول من العمل اليدوى للموجة الثانية إلى العمل الخدمي، والنشاط شديد الرمزية للموجة الثالثة الذي صار يشكل ثلاثة أرباع القوى العاملة فى أمريكا ، وذلك إلى الدرجة التى صارت معها صادرات العالم من الخدمات ، والملكية الفكرية تساوى الصادرات من الالكترونيات والسيارات معاً ، أو تساوى الصادرات من الغذاء والطاقة معاً .

مع إحلال المزيد من تكنولوجيات الموجة الثالثة فإن الشركات تحتاج إلى نوع مختلف تماماً من القوى العاملة ذات المهارات المتنوعة والمتقدمة والقابلة للتطور باستمرار ، وهذا من شأنه أن يغير من طبيعة مشكلة البطالة أو عدم التشغيل ، ويقلب النظرة إليها رأسا على عقب. لقد ظهر الآن أن الاستراتيجيات القديمة للتشغيل لم تعد صالحة ، لأنها تركز على دورة المال أكثر من التركيز على دورة

المعرفة. لم يعد من الممكن تخفيض البطالة بزيادة الوظائف ، ذلك لأن المشكلة لم تعد مجرد أعداد ، وإنما تجاوزت المفهوم الكمى إلى المفهوم النوعى .

إن أية استراتيجية فعالة ومؤثرة لتقليل البطالة فى اقتصاد شديد الرمزية يجب أن يعتمد بشكل أقل على جمع الثروة ، وبشكل أكبر على جمع المعرفة . وعلى المدارس ، ومؤسسات التدريب المهنى، والمؤسسات التى توفر فرص التعليم أثناء العمل أن تعمل علي تزويد القوى العاملة بالمهارات التى يحتاجها مجال الخدمات الإنسانية مثل رعاية الكبار ، ورعاية الأطفال ، والخدمات الصحية، وخدمات التعليم والتدريب ، إذ أنها هى الوظائف التى سيشتد عليها الطلب. يجب أن نضفى على وظائف الخدمات الإنسانية نفس الإحترام الذى تمتعت به وظائف الصناعة ، ونزيد من إنتاجيتها لنرفع من مستوى أجورها.

خلاصة القول أن ظهور الاقتصاد شديد الرمزية يفرض إعادة النظر في مفهوم مشكلة البطالة من جذورها ، إذ أن نظام الموجة الثالثة في تكوين الثروة يهددعلاقات القوى التى استقرت طويلا في الشركات ، والحكومات ، والاتحادات .

إن الاقتصاد شديد الرمزية يغير من مفاهيمنا للعمل ، ويجعل

المفاهيم الحالية بالية، ومن ثم فنحن فى حاجة إلي معجم جديد ومفردات جديدة للغة . ولنأخذ مثالا من تقسيم الاقتصاد إلى قطاعات الزراعة ، والصناعة ، والخدمات ، وفي داخل هذه القطاعات نصنف العاملين إلى أنواع وفقا لمستويات المهارة ، وفى أدناها المهارة اليدوية أو العضلية . هذه التصنيفات صارت جميعا مضللة ، تخفي أكثر مما تظهر . والمطلوب في اقتصاديات الموجة الثالثة أن نصنّف العمال حسب كم العمليات الرمزية أو العمل العقلى الذي يقومون به كجزء من وظيفتهم ، بغض النظر عن الوصف الذي يحملونه ، أو ما إذا كانوا يعملون في مخزن، أو على شاحنة ، أو في مصنع ، أو مستشفى ، أو أحد المكاتب.

إننا في مجالات العمل العقلى نجد العالم الباحث ، والمحلل المالى ، وواضع برامج الكمبيوتر ، كما نجد كاتب السجلات العادى ، بل إننا نجد فى بعض الأعمال التي تحتاج الى جهد عضلى تعاملا مع الكمبيوتر ، وليس أدل علي ذلك من العامل الميكانيكى فى مصانع فورد ، حيث اليد ملطخة بالشحم والزيت ، ومع ذلك يتعامل مع جهاز الكمبيوتر فى إصلاح الأعطال والخلل ، مع تقديم الكثير جداً من الرسومات التكتيكية ، والبيانات المخزنة في CD - ROM.

إن الوظائف اليدوية الخالصة تختفي وتتوارى ، ويحل محلها

بشكل متزايد أصحاب المعرفة والإدراك Cognitariat، وتتحول فئة البروليتاريا إلى أقلية ، أو بالأحرى تصبح البروليتاريا من ذوى المعرفة والإدراك . إن تصنيف الوظائف اليوم، وتحديد الأعمال يجب أن يتم فى ضوء ما تتضمنه الوظيفة من مدى حجم معالجة المعلومات، وهل هذه المعلومات روتينية أم يمكن برمجتها ؟ وما مستوى الأفكار المجردة التى تشتمل عليها ؟ مامدى قدرة الشخص على الاتصال ببنك المعلومات ، وبيانات البنك المركزى واستخدامه ؟ إلى أى مدى يتمتع الفرد بالاستقلالية والمسئولية؟.

وكما يتم تصنيف العاملين وفقا لمجالات العمل العقلى ، وليس وفقا لقطاعات النشاط الاقتصادى ، يتم تصنيف الشركات . وهنا يمكن تصنيف الشركات مابين شركات تنتمي إلى مستويات دنيا من العمل العقلى Lowbrows ،حيث يتركز العمل العقلي فى عدد قليل يجلسون على القمة تاركين العمل العضلى أو الأعمال التى لاتحتاج الى إعمال العقل إلى الآخرين ، ومابين شركات تنتمى إلى مستويات عليا من العمل العقلى Highbrows،حيث ينخفض العمل اللاعقلى إلي أدنى حد ، ويقوم بالأعمال البسيطة والمتكررة أجهزة الربوت، ويصبح عمل الأغلبية قائما على إعمال العقل ، والاعتماد علي المعرفة. ومابين هذين المستويين تنشأ الشركات التى تنتمي إلى

المستويات المتوسطة من العمل العقلى Middlebrows حيث يكون الاتجاه الغالب نحو المزيد من العمل المعتمد على المعرفة مع استمرار الحاجة الى الأعمال العضلية .

فى ظل هذه التصنيف يمكن أن تنشأ أيديولوجيتان ، إحداهما وهى التى لها علاقة بالاقتصاد القائم على المستويات الدنيا من العمل العقلي ، وهذه تنتمى إلي حضارة الموجة الثانية بكل مصطلحاتها ، ومفاهيمها التى ترى أن الانتاج هو مجموع الموارد المالية والآلات والعضلات ، وأن الثروة القومية تتدفق من فائض التجارة فى السلع ، وأن ما يهم هو المادة والمادة فحسب ، وأن معظم التعليم مضيعة للوقت مالم يكن مهنيا ، وقد أدي هذا كله إلى أن المسميات المادية كانت أيديولوجية التصنيع بالجملة للموجة الثانية سواء في العالم الرأسمالى أو الشيوعى ، أما الأيديولوجية الثانية فهى ذات صلة بالاقتصاد القائم على المستويات العليا من العمل العقلى ، وهي تنتمى إلى حضارة الموجة الثالثة . وفى إطار هذه الأيديولوجية ستكون المعرفة ، وليست العمالة الرخيصة ،أو المواد الخام، هى التى تجسد القيمة وتضيف إليها. هذا المفهوم الجديد لموارد القيمة المضافة يحطم مزاعم وافتراضات كل من السوق الحرة والماركسية معا، والمسميات المادية أيضا التى أوجدتها هاتان

الأيديولوجيتان ليحل محلهما أيديولوجية جديدة قائمة على المعلومات ،والمعرفة ، وعمل العقل.

إن مناقشة الأيديولوجيات - علي النحو الذي طرحه المؤلفان - قد أدى بهما إلى الانتقال إلى الفصل السادس ، والذى خصصاه لبيان أبعاد "صدام الاشراكية في المستقبل" .وبينا فيه ماحدث من سقوط الحكومات الشيوعية في شرق أوربا عندما تخلت موسكو عن حمايتها ، وما أدى إليه ظهور الكمبيوتر ووسائل الاتصال الحديثة من القضاء على سيطرة موسكو على عقول الدول التى كانت تدور في فلكها ، وكشفت عن سيئات النظام السياسي القائم على أساس الحزب الواحد الذى يستخدم البيروقراطية الطاغية لتقييد نشر المعلومات والمعرفة.

ناقش المؤلفان مدى الصدام بين نظام تكوين الثروة في الموجة الثالثة وأسس العقيدة الشيوعية الثلاثة : الملكية العامة ، التخطيط المركزي ، والتركيز على الآلة والصناعة ، وتجاهل الزراعة والعمل العقلى . وكيف فشلت هذه الأسس الثلاثة ، مما انتهي بصدام الاشتراكية مع المستقبل فكانت نهاية الاشتراكية مميتة وقاتلة.

ويستمر المؤلفان فى مناقشة أيديولوجية المرحلة الثالثة ولكن مع الحزبين الأمريكيين ، وذلك فى الفصل السابع تحت عنوان

"تصادم جماعات الناخبين". ويبدأ هذا الفصل بما يلى :

" إن قائمة المشكلات التى تواجه مجتمعنا لاتنتهي، ونحن نشم رائحة البلى، والعفن ،والانحلال الأخلاقي لحضارة صناعية تندثر ، ونحن نشاهد مؤسساتها وهى تنهار ، الواحدة تلو الأخرى ، بعد أن أصابها العقم والفساد . نتج عن ذلك أن امتلأ الجو بالمرارة، وأصبح يتطلب تغييرا جذرياً .واستجابة لذلك يتم تقديم آلاف المقترحات ، كل منها تزعم أنها جوهرية ،أو أساسية ،أو ثورية ، ومع ذلك نقولها المرة بعد الأخري : إن القواعد الجديدة ، والقوانين الجديدة ، واللوائح الجديدة ، والممارسات الجديدة - وكلها تستهدف حل مشكلاتنا- ترتد ثانية وتجعل المشكلات أسوأ من ذى قبل ، مما يضاعف الشعور بالعجز ، وبأن أي شيء لن يفيد . وهذا الشعور - وهو خطير على أية ديمقراطية - يغذي التعطش إلى " الرجل الذي يمتطى حصانا أبيض " كما تقول المأثورات الشعبية . ومالم نتمتع بالجسارة والجرأة والقدرة على التخيل فسنجد أنفسنا في مزبلة التاريخ " .

سبق أن ذكر المؤلفان في كتابهما " الموجة الثالثة" في عام ١٩٨٠ أن أحد الحزبين السياسيين الأمريكيين يرتبط بحضارة الموجة الثانية ، والآخر يرتبط بحضارة الموجة الثالثة . والخطوط الفاصلة بينهما لم تتحدد معالمها بعد ، ومعظم الأمريكيين - كأفراد -

منقسمون ، ولاتزال القضايا تبدو أنها ضبابية غامضة . وتحت عنوان " كسب التأييد للماضي " يبين المؤلفان محاولات الحزب الديمقراطى الحفاظ على حضارة الموجة الثانية ، والصراع القائم بينه ،وبين الحزب الجمهورى الداعى إلى حضارة الموجة الثالثة ، ومع ذلك فكل منهما منشغل بإثارة الحنين إلى الماضي ، ودفعه في عروق الناخبين ، وليس لدى أى منهما صورة إيجابية للمستقبل. وينتهى هذا الفصل بتوجيه حديث إلى الناخبين يدعوهم إلى تأييد الموجة الثالثة ،وإزالة مايواجهها من عقبات .

وخروجا من هذا الصدام يطرح المؤلفان في الفصل الثامن مبادىء لأجندة الموجة الثالثة ، وذلك من خلال الإجابة على عدد من التساؤلات ، وهى :

١- هل يتشابه مع المصنع ؟

المصنع هو الرمز الأساسى للمجتمع الصناعى ، أما اقتصاديات الموجة الثالثة فتقوم على مبادئ مختلفة عن تلك التى تقوم عليها المصانع ، أهمها أن قدراً متزايداً من الإنتاج يتم في البيوت ، والمكاتب، والسيارات ، والطائرات . إنه إنتاج يقوم على العمل العقلى ، والأفكار المجردة.

٢- هل تعمل علي تكتيل المجتمع ؟

يقوم اقتصاد الموجة الثانية على التكتلات في كل شيء ، بينما تقوم اقتصاديات الموجة الثالثة على الشخصية المتفردة ، والعامل الذي يفكر ، ويسأل ،ويبدع .

٣- كم بيضة في السلة ؟

يقوم اقتصاد الموجة الثانية على المركزية ،وبالتالى اتخاذ القرارات على القمة ، بينما يعتمد اقتصاد الموجة الثالثة على مشاركة القاعدة بما لديهم من معلومات ، وقدرة على الاستجابة الأسرع للأزمات والفرص المتاحة أكثر ممن هم في القمة . وبلغة أخرى، الموجة الثانية تضع البيض كله في سلة واحدة ، والموجة الثالثة تضعه في سلال متعددة.

٤- أهو تغيير رأسى أم فعلى ؟

هل التغيير يزداد مع زيادة الوظائف وتضخم المؤسسة ، وتلك سمة اقتصاديات الموجة الثانية؟ أم أنه اختصار الوظائف ، واستئجار الغير ، والتعاقد مع شركات أصغر ذات تكنولوجيات عالية وأكثر تخصصا ، والاقتصار على الحد الأدنى من الوظائف التي تعتمد على العمل العقلى ، وهذه من سمات اقتصاد الموجة الثالثة؟

٥- هل تتيح السلطة للبيت ؟

لقد جردت الثورة الصناعية البيت والأسرة من معظم وظائفها ، إذ انتقل العمل إلى المصنع ، والتعليم إلى المدرسة ، والمرضي ذهبوا إلى المستشفى ، والأزواج إلى المسارح والسينما ، والكبار في السن إلى بيوت الرعاية ، ولم يبق بعد ذلك إلا الأسرة النواه هشة الروابط. أما الموجة الثالثة فتريد أن تعيد إلي البيت وظائفه ، إذ يمكن أن يعود العمل والتعليم ، بل والعلاج ، ورعاية الكبار إلى البيت مع تنوع أنماط الأسرة.

وتطرح هذه التساؤلات عددا من المعايير يمكن أن تعين الأمريكيين فى رحلتهم نحو حضارة الموجه الثالثة .

وبهذا يصل الكتاب إلى الفصل التاسع والأخير وعنوانه : "ديمقراطية القرن الحادى والعشرين" حيث يطالب المؤلفان بإعادة النظر فى دستور الولايات المتحدة ووثيقة الحقوق، ويذكران أن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية قد أدركوا مفهوم " التقادم السياسى " بمعني أن السياسة تبلى ، وتحتاج إلى التغيير ، ومن ثم، وجب توسيع "قائمة الحقوق " بحيث يؤخذ في الاعتبار التهديدات التي تتعرض لها الحرية ، ويتسنى للأمريكيين بناء هيكل جديد لحكومة قادرة على اتخاذ القرارات الواعية الذكية ، وعلى وضع

نظام ديمقراطي يضمن بقاء أمريكا " الموجة الثالثة" فى القرن الحادي والعشرين.

ولكى يتم إنجاز هذه المهمة يطرح المؤلفان خمسة مبادىء أساسية قد تتبلور لتصبح المبادىء الراسخة لحكومات الغد فى الموجة الثالثة ، وبما يساعد على تحقيق ديمقراطية القرن الحادى والعشرين ، وهذه المبادىء هى :

أولاً : سلطة الأقلية "Minority Power"، وإتاحة الفرص لها للتعبير ، وعدم الانسياق لرأى الاغلبية .

ثانيا :الديمقراطية شبة المباشرة "Semidirect democracy" بحيث نتحول من الاعتماد على النواب والممثلين إلى اشتراك المواطنين ، أو المزج بين الأسلوبين ، وهو أمر يمكن أن يتم من خلال شبكات المعلومات ، والتقدم المذهل في تكنولوجيا الاتصالات.

ثالثا : تقسيم القرار "Decision division "بحيث لايظل أمر اتخاذه مرهونا بالقلة على قمة النظام ، وإنما يتم التوسع فى اتخاذه علي كافة المستويات فى مختلف الأماكن .

رابعاً : مبدأ الصفوة الموسعة "The Expanding elite"حيث يمكن توزيع عبء القرار السياسى على الكثير من الخبراء فى المجالات المختلفة ، بل وعلى الجمهور نفسه بتنظيماته المختلفة.

خامساً : قدر يجب أن نتصدي له ،"A Destiny to Face " ،أو مصير يجب أن نصنعه ، فعلي جيل الحاضر أن يواجه حضارة الموجة الثالثة ، ويتصدي لوضع أسس ديمقراطيتها ، وديمقراطية القرن الحادى والعشرين .

وهكذا ، قدمنا أهم ما تضمنه هذا الكتاب من أفكار مع بعض التعليقات التى اقتضاها المقام ، ومهما اختلف المرء مع ما احتواه الكتاب أو اتفق معه ، إلا أنه يتضمن جهدا إبداعيا في المستقبليات يحتاج إلى الكثير من التأمل قبل إبداء الرأى . إنها رحلة عقلية ممتعة ، يعايش فيها المرء متغيرات العصر ، وتصورات المستقبل ، ويحلم لمصر أن تواجه حضارة الموجة الثالثة ، وتشارك فيها ، وأظنها قادرة على ذلك ، إذا وضعنا فى الحسبان أنها غنية بعقول أبنائها ، ولديها رصيد بشري في الدول المتقدمة يمكن أن تستفيد من تصوراته للمستقبل ، وهو مقيم في مهجره من خلال التقدم الهائل فى نظم الاتصالات.

يشرفنى أن أوجه الشكر إلى الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاءالدين على أن قدم هذا الكتاب من مكتبته الخاصة للترجمة وعرض ملخصها ، وأشكر وزارة التخطيط والقائمين عليها لموافقتهم على أن توضع هذه السلسلة ضمن الخطة الاستثمارية .

وأشكر الأستاذ بهجت عبد الفتاح عبده على ما بذله من جهد فى الترجمة، والدكتور سعيد حسن عبد العال فى مراجعة الترجمة ، وذلك تحت إشرافى . ويشرفنى أن أقدم ملخصا لهذا الكتاب ، قمت بإعداده ، راجيا أن يجد فيه الجميع سواء من المعلمين ،أو أساتذة التربية ، أو من خارج الأسرة التربوية ، أو من قراء العربية ما يدفعهم إلى التفكير فى تطوير مصرنا الغالية لنعيش وأبناؤنا على أرضها الطاهرة مستقبلا زاهراً .

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل ،

يونيه ١٩٩٥

الدكتور عبد الفتاح أحمد جلال

مدير المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

الصراع الأكبر

إن حضارة جديدةتتنامي فى حياتنا ، وهى تجلب معها أساليب جديدة للأسرة ،وطرائق متغيرة للعمل ، والحب ، والمعيشة ، وكذلك اقتصادا جديدا، وصراعات سياسية جديدة ، وفوق ذلك وعيا متغيراً.

لقد مر بالبشرية موجتان كبيرتان من التغير ، وكانت كل موجة تمحو إلى -حد كبير -ماقبلها من ثقافات أو حضارات ، وتستبدل بها أساليب جديدة للحياة لم يكن يتصورها الذين جاءوا من قبل.

قبل الموجة الأولى من التغيير كان معظم البشر يعيشون فى جماعات صغيرة من البدو الرحل ،كانت هذه الجماعات تتغذى على الصيد ،والقنص ،والتقاط الثمار ،والرعى . ومنذ عشرة آلاف سنة تقريبا بدأت الثورة الزراعية ، وزحفت ببطء عبر الكرة الأرضية تقيم القرى ، وتزيد من الأراضي المنزرعة ، وتحيا حياة جديدة . ولم تكن الموجة الأولى من التغيير قد أنهكت نفسها بعد في نهاية القرن السابع عشر للميلاد عندما اقتحمت الثورة الصناعية أوربا ، وأطلقت العنان للموجة الثانية العظيمة من التغيير على هذا الكوكب ،

وبدأت هذه الموجة الجديدة تسرع الخطي عبر الدول ، والقارات واستغرقت ثلاثمائة عام فقط . واليوم يسرع التاريخ الخطي ، ومن المحتمل أن تدخل الموجة الثالثة التاريخ بقوة،وتستكمل مقوماتها في بضع عشرات قليلة من السنين . لذلك فإن هؤلاء الذين يتصادف أن يتقاسموا معنا العيش فوق هذا الكوكب فى هذه اللحظة من التاريخ سوف يشعرون بالتأثير الكامل لهذه الموجة الثالثة في حياتنا.

إننا - في رأى المؤلفين - نعيش الأحداث التى تكشف عن المقدمة المنطقية للثورة التى تحمل فى أحشائها حضارة الموجة الثالثة. إن التغيرات المربكة المزعجة التى نقاسيها الآن ليست فوضوية ،أو عشوائية ، ولكنها - في الحقيقة - تشكل نمطا محددا يمكن رؤيته بوضوح، وهي تغيرات تراكمية تؤدى إلى تحول عملاق فى الطريقة التى نعيش بها . إن مايحدث الآن ليس أقل من المقدمة المنطقية لثورة شاملة كبيرة للأمام ، وإن الكثير مما نعانيه من اضطرابات وهزات ، وألم وارتباك يمكن إرجاعه إلى الصراع بين حضارة الموجة الثانية التى تندثر، وحضارة الموجة الثالثة الناهضة.

وهكذا ،يتبنى المؤلفان في تحليلهما لحركة التاريخ منهجاً جديداً يمكن أن نطلق عليه " الطرف القائد للموجة"،أو "التحليل الاجتماعي

لطليعة الموجة "، أو "جبهة الموجة" . هذا المنهج ينظر إلى التاريخ على أنه تتابع لموجات متلاطمة من التغير ، ويبحث عن الطرف القائد لكل موجة . إنه لايركز على فترات التواصل بين حقب التاريخ بقدر ما يركز الاهتمام على فترات الانقطاع ، والإبداعات ، والإخفاقات . إن هذا المنهج يحدد أنماط التغيير الرئيسة ، أو بعبارة أخرى "مفاتيح" التغير . وفى ضوء هذا المنهج نجد أن الزراعة كانت أول نقطة للتحول فى التطور الاجتماعي للبشرية ،وأن الثورة الصناعية كانت التطور الثانى الهائل .

وفى إطار هذا المنهج ينظر إلى كل من هذين الحدثين ،لا على أن كلا منهما حدث منفصل غير مترابط ، بل على أنه موجة من التغير تتحرك بسرعة معينة.

لقد انحسرت الموجة الأولى اليوم بالفعل ، فيما عدا تجمعات صغيرة جدا ماتزال تعيش مرحلة ما قبل العصر الزراعي ، وتنتظر أن تصلها الزراعة . وهكذا استنفدت الموجة الأولى الكبيرة قوتها . وفى هذه الأثناء أحدثت الموجة الثانية ثورة في الحياة العامة في كثير من أنحاء العالم ، ولانزال نستشعر قوة دفع الثورة الصناعية ، إذ أن الموجة الثانية لم تستنفد قوتها كاملة . وإذ تمضي هذه العملية فى مسارها بدأت عملية أخرى ، أو بالأحرى موجة ثالثة تجيش

وتصطخب عبر الكرة الأرضية ، وتغير كل شيء تلمسه . إن كثيراً من الدول تستشعر الأثر المتزامن لاثنتين ، وربما لثلاث ، من موجات التغيير المتباينة تماما ، وكلها تتحرك بمعدلات مختلفة من السرعة، وبدرجات متباينة من القوة التى تدفعها .

وعندما يتعرض مجتمع من المجتمعات لموجتين كبيرتين ، أو أكثر من التغيير ، ولا تتضح سيطرة إحداها أو تفوقها بعد ، فإن صورة المستقبل تكون هشة ، وسرعان ما تتكسر ، ويصبح من العسير أن نستخلص معنى التغيرات والصراعات التى تبرز ، ذلك لأن تصادم الأمواج يحدث بحراً هائجا غاضبا مليئا بالتيارات المتصارعة المتلاطمة ، وبالدوامات ، وبالاضطرابات الهائلة التي تخفي وراءها عوامل المد والجذر التاريخية التى تكون أعمق وأكثر أهمية.

ويرى المؤلفان أن تصادما ما يحدث بين الموجتين الثانية والثالثة على أرض الولايات المتحدة الأمريكية ، وكثير من الدول الأخرى، بما يؤدى إلى تغيير التقسيمات المألوفة الشائعة للطبقة ، أو الجنس ، أو النوع ،أو الحزب ، وإلى القضاء على المفردات السياسية التقليدية مثل التقدمية والرجعية ، والأصدقاء ، والأعداء ، كما يؤدى إلى

تقويض كل الاستقطابات والائتلافات . " وينعكس التفكك الواضح، أو عدم التماسك في صورة عدم " تكامل الشخصية" - فالأطباء النفسيون يقومون بأنشطة تجارية ، والناس يسيرون على غير هدى ، وينتقلون بين العلاجات المتعارضة ، وأيضا ينزلقون إلى عبادة الذات، أو إلى حالة من الخصوصية المرضية ، وهم على يقين من أن الواقع سخيف، ومجنون، ولامعنى له . وقد تكون الحياة سخيفة بوجه عام ، ولكن هذا الذي يجرى قلما يثبت أنه ليس هناك نمط تسير عليه الأحداث هذه الأيام. والحقيقة أن هناك نظاما خفيا وواضحا يمكن أن نكتشفه بمجرد أن نميز تغييرات الموجة الثالثة من تلك التى ارتبطت بالموجة المضمحلة."

إن الصراع بين تجمعات الموجة الثانية ،وتجمعات الموجة الثالثة يكمن في التوتر السياسي الذي يمزق المجتمع الأمريكى اليوم." وهذا الصراع هو" النضال الكبير من أجل الغد ". إنه يكشف عن المواجهة بين أصحاب المصالح المكتسبة من الموجة الثانية ، وبين أنصار الموجة الثالثة التى تسرى حاليا مسري التيار الكهربى فى الحياة السياسية لكل دولة" . وينبغى أن نكون قادرين على التمييز بين تلك المتغيرات التى تنتمى إلى الحضارة الصناعية القديمة ، وبين تلك التى تعمل على تيسير وصول الحضارة الجديدة.

اتضح مؤخراً - كما يقول المؤلفان في الفصل الثانى من الكتاب- أن الحضارة الصناعية على وشك أن تنتهي ، وانحلال هذه الحضارة ، الذي كان واضحا بالفعل فى عام ١٩٧٠ عندما تحدثا عن الأزمة العامة للتصنيع فى كتابهما " صدمة المستقبل" يحمل فى طياته التهديد بوقوع المزيد من الحروب التى سوف تكون من نوع جديد.

وأخذ المؤلفان يوضحان أسباب استخدامها لمصطلح " موجة التغيير " للتعبير مجازا عن التاريخ ، إذ أنها أكثر دينامية، وأكثر دقة فى التعبير عن التغيير الجذرى " فالموجات متحركة ودينامية. وعندما تتلاطم الأمواج وتصطدم كل منها بالأخرى تظهر التيارات المتعارضة القوية ، وتنطلق . وعندما تتصادم موجات التاريخ تتصادم حضارات بأكملها. "

إن نظرية الموجة فيما يتعلق بالصراع تذهب إلى أن الصراع الذى تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية ليس بين الإسلام والغرب ، أو بقية دول العالم ضد الغرب ، كما ذكر أخيرا صامويل هنتنجتون

Smuel Huntington ، كما أن أمريكا ليست في حالة انهيار كما أعلن بول كينيدى ، ولسنا كما قال فرانسيس فوكياما نواجه نهاية التاريخ ، وإنما يعبر هذا الصراع عن التغييرات الاقتصادية والاستراتيجية التى يحملها صدام الحضارات المتباينة والمتصادمة.

إن حضارة الموجة الأولى مرتبطة بالأرض ، فهى نتاج الثورة الزراعية . وهناك حتي اليوم أعداد غفيرة تعيش وتموت وهى تنبش فى التربة الصلبة كما كان يفعل أسلافهم منذ قرون سحيقة . أما حضارة الموجة الثانية فهى مرتبطة بالإنتاج الصناعى ، ولم تمض فترة طويلة حتى تضافرت الكثير من العناصر المختلفة لتشكل قطاعا جديدا يشتمل على الإنتاج بالجملة ، والاستهلاك الجماهيرى ، والتعليم الجماهيرى ، والإعلام الجماهيرى . وهذه كلها ترتبط ببعضها البعض ، وتقوم على خدمتها مؤسسات متخصصة مثل المدارس والهيئات ، والأحزاب السياسية . وقد صاحب هذه التغيرات تغير في التركيبة الأسرية من البيت الكبير - الأسرة الممتدة التى تضم أجيالا عديدة - إلى الأسرة الصغيرة التى تقتصر على الآباء والأبناء ، والتى تتفق تماما ونمط المجتمعات الصناعية . ومن الطبيعى أن نتصور أن الذين عايشوا هذه التغيرات الكثيرة كانوا يعيشون حياة مضطربة وغير مستقرة . ومع ذلك ، فإن هذه التغيرات

كانت مترابطة ومتداخلة ، وكانت مجرد خطوات نحو التطور الكامل الذي أسميناه فيما بعد المجتمع الصناعى الكبير، أى حضارة الموجة الثانية.

لقد أدت حضارة الموجة الثانية إلى صراعات داخل كل دولة بين الجماعات الصناعية والتجارية للموجة الثانية ، وبين ملاك الأرض للموجة الأولى . كما أدت إلى نزاعات الحدود بين الدول . إن انتشار حضارة الموجة الثانية مع وسيلتها الجديدة في جمع الثروة قد أدى إلى زعزعة العلاقات بين الدول ، مما أدى إلى إحداث فراغات وتحولات في السلطة والقوة.

لقد ترسخت وبسرعة الحضارة الصناعية - التى هى نتاج الموجة الثانية العظيمة من التغير- فى الشواطيء الشمالية لحوض الأطلنطى الكبير . وأصبحت هذه الدول فى حاجة إلى أسواق ، وإلى مواد خام رخيصة من مناطق بعيدة ، فأشعلت حروب الغزو الاستعمارى لتسيطر على ما تبقى من دول الموجة الأولى، والجماعات القبلية فى ربوع آسيا وأفريقيا . وقامت بين دول الحضارة الصناعية المتنافسة حروب ، كما حدث بين المانيا وبريطانيا ، إذ كانت كل منهما تسعي جاهدة لتحقيق السيطرة على العالم مع

إبقاء المجموعات السكانية الذين يعيشون حضارة الموجة الأولى فى موقع التابع.

" كانت المحصلة النهائية أن انقسم العالم بشكل واضح ، إذْ شطر العصر الصناعي العالم إلى حضارة الموجة الثانية القوية المسيطرة ، وإلى عشرات المستعمرات الغاضبة الخاضعة التى تتبع الموجه الأولى . وقد نشأ كثيرون منا في هذا العالم الذى انقسم بين حضارة الموجة الأولى ،وحضارة الموجة الثانية ، وكان واضحا تماما أيهما تسيطر وتمسك بعنان القوة. "

واليوم يختلف الأمر ، فالعالم المتقدم يسرع الخطي إلى بنية مختلفة للقوة سوف تؤدى إلى وجود عالم لاينقسم إلى نصفين ، وإنما ينقسم إلى ثلاث حضارات متعارضة ومتنافسة : الأولى وهي الحضارة الزراعية تمثلها الفأس ، والثانية وهي الحضارة الصناعية يمثلها خط التجميع ، والثالثة وهى حضارة المعلومات ويمثلها الكمبيوتر.

فى هذا العالم الثلاثي الانشطار يقدم قطاع الموجة الأولى الموارد الزراعية والمعدنية ، ويقدم قطاع الموجة الثانية العمالة الرخيصة ، والإنتاج الكبير، أما قطاع الموجة الثالثة الذى يتسع

نطاقه بسرعة مذهلة فإن قوته تقوم على الطرائق الجديدة التى يوفر بها المعرفة والمعلومات ، وكيفية الاستفادة منها .

" إن دول الموجة الثالثة تبيع للعالم المعلومات ، والابتكارات ، والإدارة ، والثقافة ، والثقافة الشعبية الصارخة (POP)، والتكنولوجيا المتقدمة ، وبرامج الكمبيوتر ، والتعليم ، والتدريب ، والرعاية الطبية ، والخدمات المالية، وخدمات أخرى . وقد تتحول واحدة من هذه الخدمات إلى حماية عسكرية تقوم على أساس إدارتها وقيادتها القوات العظمى للموجة الثالثة .(وهذا في الواقع ماقدمته دول التكنولوجيا المتقدمة للكويت والسعودية في حرب الخليج)

يتنبأ المؤلفان بتغيير النمط الاقتصادى من الموجة الثانية إلى الموجة الثالثة حيث يعتبران أن الاقتصاديات التى تقوم على إعمال العقل والإنتاج بالجملة، والتى تميز غالبا المجتمع الصناعى، قد أصبحت من الأشكال البالية ، وقد حل محلها " الإنتاج غير المتكتل أو بالتجزئة" Demassified Production.

كما تتداعى الجماعات الصناعية القديمة ، فتتقلص الاتحادات العمالية ، وتتفكك وسائل الإعلام ، وتضعف الشبكات التليفزيونية العملاقة مع انتشار القوات الجديدة ، ويتفكك نظام الأسرة أيضا .

وهكذا ،تتغير البنية الكاملة للمجتمع كلية ،إذ يحل عدم تجانس حضارة الموجة الثالثة محل تجانس مجتمع الموجة الثانية ، ويتهاوى التكتل أمام التفكك ، وبدوره فإن التعقيد الشديد للنظام الجديد يتطلب تبادلا أكثر ، فأكثر للمعلومات بين الوحدات المختلفة مثل الشركات ، والهيئات ، والحكومات ، بل بين الأفراد ، ومن ثم، تنشأ الحاجة الشديدة إلى أجهزة الكمبيوتر ، والشبكات الرقمية للاتصالات البعيدة ، ووسائل الإعلام الجديدة.

مع تزايد سرعة خطي التغيير يزداد إحلال المعلومات محل المواد الخام الكثيرة والعمالة ، والموارد الأخرى ، ويقل بالتالي اعتماد دول الموجة الثالثة على شركائها من الموجتين الأولى والثانية ، فيما عدا الأسواق . و فى النهاية سوف تتولى هذه التكنولوجيات ذات الرأسمال الكبير ، والقائمة علي أساس المعرفة Highly Capitalized, Knowledge - Based Technology القيام بأعمال كثيرة تقوم بها الآن الدول ذات العمالة الرخيصة ، وستنجزها بطريقة أسرع وأفضل وأرخص .

قد تعني هذه التغييرات التكنولوجية ضعف الروابط الاقتصادية القائمة ، أوانقطاعها بين الدول ذات الاقتصادالغنى،

والدول ذات الاقتصاد الفقير ، بيد أن التفرد الكامل - دون شيء من التزاوج - أمر مستحيل ، إذ ليس من الممكن إيقاف التلوث ، أو المرض ، أو الهجرة خلال التسلل عبر الحدود إلى دول الموجة الثالثة . كما أن الدول الغنية لايمكن أن تعيش إذا شنت عليها الدول الفقيرة حربا بيئية ، وذلك باستخدام بيئتها بطرق تقضي على كل إنسان . لهذه الأسباب سوف تستمر عوامل التوتر بين حضارة الموجة الثالثة، وبين الحضارتين القديمتين . وقد تقاتل الحضارة الجديدة لتحقق السيادة على العالم كما فعل أصحاب التحديث فى الموجة الثانية مع مجتمعات ماقبل التحديث فى الموجة الأولى منذ قرون مضت .

عندما يتم إدراك هذا المفهوم لصدام الحضارات ، فسوف يعيننا على أن نجد معنى لكثير من الظواهر التى تبدو غريبة مثل الوطنيات التى تنفجر اليوم . والوطنية هي أيديولوجية الوطن ، وهى نتاج الثورة الصناعية ، وذلك على النحو الذى جرى في الجمهوريات السوفيتية السابقة مثل أوكرانيا ، أو أستونيا ،أو جورجيا حيث تصر كل منهم بعنف على حق تقرير المصير ،وتطالب بعلامات التحديث التى تمت إلى حضارة الموجة الثانية كالأعلام ، والجيوش ، والعملة الوطنية . وعلى النقيض من ذلك ، فإن مما يستعصى على فهم الوطنيين هو : كيف تسمح بعض الدول لدول أخرى بأن تنتهك

استقلاها السياسى المقدس ، وذلك فى الوقت الذي تفسد فيه عالمية الأعمال والمال -والتى تتطلبها اقتصاديات الموجة الثالثة المتقدمة بشكل روتينى -السيادة الوطنية التى يعتز بها الوطنيون الجدد ؟ إن الدول المتمسكة بسيادتها الوطنية مضطرة - مع تحول الاقتصاديات وتغيرها بسبب الموجة الثالثة - إلى أن تتنازل عن جزء من سيادتها ، وأن تتقبل التدخلات الاقتصادية والثقافية المتزايدة فى شئون بعضها ، وقد يؤدى ذلك إلى صدامات ، ومعارك تراق فيها الدماء في السنوات القادمة.

إن التحول من اقتصاديات القوة الوحشية للموجة الثانية إلى اقتصاديات القوة العقلية للموجة الثالثة لم يكتمل فى أي مكان بعد. (Third - Wave Brain - Force Economies).

إن المعركة الداخلية بين المستفيدين من الموجة الثانية ، والطامحين لبناء حضارة الموجة الثالثة فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، وأوربا ، لم تنته بعد ، فلا تزال مؤسسات مهمة من الموجة الثانية ، وكذلك القطاعات المهمة للإنتاج قائمة ، كما أن القوة السياسية المؤثرة للموجة الثانية ماتزال ممسكة بالسلطة. كذلك ، فإن السباق التنافسى على مستوى العالم سوف تكسبه

الدول التى تكمل تحولها ، وانتقالها للموجة الثالثة بأقل قدر من الاضطرابات ، والاهتزازات الداخلية.

إن التغير التاريخى من عالم ذي شطرين إلي عالم ثلاثي الانشطار يمكن أن يفجر أعمق الصراعات من أجل السلطة والقوة على ظهر هذه البسيطة ، إذ تحاول كل دولة أن توطد نفسها في هذه التركيبة النامية للقوة ذات الحلقات الثلاث . ويكمن وراء إعادة توزيع السلطة والقوة التغير في دور المعرفة ، وأهميتها ، وطبيعتها .

البديل النهائى

إن الكثير من أبسط المهارات التى نعتبرها اليوم أمرا مسلما به في مجال الأعمال هو نتاج قرون وآلاف السنين من التطور الثقافى والحضارى التراكمى . كما أن المدراء التنفيذيين للأعمال فى جميع أنحاء العالم - اليوم - يعتمدون على معرفة جاءت من الصين ، ومن الهند، ومن العرب ، ومن الفينيقيين ، وكذلك من الغرب. وقد تعلمت الأجيال المتعاقبة هذه المهارات ، واستخدمتها ، ونقلتها ، ثم أقامت علي نتائجها أعمالا كثيرة . إن كل النظم الاقتصادية ، قامت على قاعدة من المعرفة Knowledge Base، وكل مؤسسات الأعمال تعتمد علي هذا المورد الذى كونته المجتمعات السابقة . ومن العجيب أن المعرفة هى العامل الوحيد - رغم أهميته - الذي يهمله رجال الاقتصاد والأعمال عندما يحسبون المدخلات التى تتوقف عليها إنتاجيتهم ، فيعدون رأس المال والعمالة ، والأرض ، ويهملون المعرفة ، مع أنها أهم الموارد جميعاً .

إننا نعيش عصر المعرفة حيث أنشأنا شبكات جديدة للمعرفة ، وربطنا المفاهيم بعضها ببعض بطرق مذهلة ، وقمنا بتدعيم قوة

الاستدلال وتسلسله ، واستحداث نظريات جديدة ، وافتراضات وتطورات مبنية على لغات جديدة ، وقواعد جديدة ، ومنطق جديد.

إن الانتفاضة الضخمة الكبيرة التى تحدث فى قاعدة معرفة المجتمع هى التى تفسر ظهور اقتصاد الموجه الثالثة شديدة الرمز. "Super - Symbolic"

كثير من التغيرات فى نظام المعرفة فى أى مجتمع يترجم إلى عمليات تتعلق بالأعمال التجارية والصناعية . هذا النظام للمعرفة هو أكثر الأجزاء انتشارا في بنية أي مصنع ،أو شركة من النظام البنكى ، أو النظام السياسى ، أو نظام الطاقة . وبغض النظر عن حقيقة أن كل عمل لايمكن أن يفتح أبوابه ويبدأ نشاطه دون وجود لغة ، وثقافة ، وبيانات ، ومعلومات ، وكيف معرفي ، إلا أن الحقيقة الأعمق هى أنه من بين كل الموارد التي تحتاجها الأعمال لتكوين ثروة ليس هناك أكثر أهمية من المعرفة ، فهي طليقة الحركة، متعددة الاستعمالات ، ولها كيمياؤها . ولنضرب على ذلك مثالا من اقتصاديات الموجة الثانية حيث كانت المعرفة التى تؤدى إلى استخدام المنتج غزير الإنتاج فترة أطول من الزمان ذات تكلفة أقل. أما فى اقتصاديات الموجة الثالثة فدور المعرفة يتزايد . وبالرغم من

أن الإنتاج في الموجة الثالثة يتحرك نحو الإنتاج المجزئى ،أو غير المتكتل ، على عكس الوضع في الموجه الثانية حيث كان الإنتاج بالجملة أو الغزير ، فإن استخدام التكنولوجيات المتقدمة ، والتى تدار بالكمبيوتر مكنت من جعل المنتجات متنوعة تنوعا لا نهاية له، وفي نفس الوقت زهيدة التكلفة بصورة أقرب ما تكون الي الصفر . ووراء كل هذه ،المعلومات التى يغذى بها جهاز الكمبيوتر فيقوم بعمليات يعجز عنها الكثير من البشر . وقد كان من نتاج هذه المعلومات وجود منتجات أصغر حجما ، وأخف وزنا ، مما قلل من عمليات التخزين والنقل ، وماارتبط بهما من تحقيق وفورات . وباستخدام لغة الكيمياء استطاعت المعرفة الجديدة أن تمكن الإنسان من استحداث مواد جديدة تماما تتراوح بين مكونات الطائرة ،إلى المواد البيولوجية . كما زادت قدرة الإنسان على إحلال أية مادة محل الأخرى . وتتيح لنا المعلومات والمعرفة كذلك أن نصنع الآن المواد طبقا لطلبات الزبون ، ونعدل فيها وفقا للصفات والخصائص المميزة المطلوبة . وخلاصة القول إن المعرفة بديل لكل الموارد والشحن . ويصدق هذا على الطاقة ، فليس هناك مثال يوضح قدرة المعرفة على تحويل الموارد إلى أخرى أفضل من ذلك التقدم الذى حدث أخيرا فى عمليات التوصيل الفائقة ، والتى أدت إلى تقليل كمية الطاقة التى

يجب أن تصل إلى كل وحدة من وحدات الإنتاج إلى أقل قدر ومستوى ممكن .

إن المعلومات - بالإضافة إلى ما حققته من استبدال للمواد ، وتوفير في تكاليف النقل والطاقة - تعمل على توفير الوقت . ومن الضرورى أن ندرك أن الوقت واحد من أهم الموارد الاقتصادية رغم أنه لم يظهر فى أى بند من بنود أية ميزانية لأية شركة، أو مصنع من اقتصاديات الموجة الثانية . إن الوقت مدخل خفى مستتر ، خصوصا عندما نسرع الخطي إلى التغيير ، فتكون القدرة على تقليل الوقت واختصاره عن طريق الاتصال السريع ، واستخدام منتجات جديدة، ونقلها بسرعة إلى السوق - على سبيل المثال - هى الفرق بين الربح والخسارة . وكذلك الأمر بالنسبة للمكان حيث أدت المعرفة إلى صيانته والمحافظة عليه ، وتوفير مساحات كبيرة منه ، والتخزين علي مساحات أضيق . ومن ذلك - على سبيل المثال - ما توفره التكنولوجيا المتقدمة من معلومات تجعل من الممكن توزيع المنتجات بعيدا عن المراكز الحضرية مرتفعة التكاليف . وهكذا ، صار للمعلومات تفاعلاتها - كتفاعلات المواد الكيميائية - والتى أدت إلى التغيير في كثير من عناصر الإنتاج ، والاستثمار الأفضل للوقت ، والمكان ، والطاقة، والقدرة علي استبدال المواد ببعضها

البعض ، بل وتوليدْ مواد جديدة.

وقد أدى هذا التغيير - في نظر المؤلفين - إلي أن تواجه المعرفة رأس المال فتعمل على التقليل من شأنه . لقد اعتدنا أن نسمع أن الكمبيوتر يحل محل العمالة ، وعلينا أن نعد أنفسنا لنقول أن المعرفة ستحل محل رأس المال . إن المعرفة فى جانب منها خطر كبير على رأس المال ،وقوة التمويل على المدى البعيد بصورة أشد خطراً منها عى العمالة المنظمة ، أو الأحزاب السياسية المعادية للرأسمالية.

إن ثورة المعلومات ستؤدي - بصورة نسبية - إلى تقليل الحاجة إلى رأس المال لكل وحدة من وحدات الإنتاج في أي اقتصاد رأسمالى.ليس هناك ماهو أكثر ثورية من ذلك .ويؤكد ذلك ماقاله ميرلونى Merloni رجل الأعمال الإيطإلى ذى الستين عاما ،والذى ينتج عشرة في المائة من جميع الغسالات،والثلاجات،والأجهزة المنزلية الأخرى التى تباع فى أوربا : " نحن نحتاج الآن إلى رأس مال أقل لننتج نفس الشيء الذى كان يتطلب في الماضي المزيد من رأس المال. وهذا يعنى أن أيه دولة فقيرة يمكن أن تتحسن أحوالها اليوم بنفس القدر من المال أكثر مما كان عليه الأمر منذ خمس أو عشر سنوات مضت . ويستطرد قائلا :" إن السبب يكمن فى التكنولوجيات

المعتمدة على المعرفة" Knowledge - based technologies" ، والتى تقلل من رأس المال المطلوب "

خلاصة القول ،إن المعرفة صارت البديل النهائى ، لأنها تقلل الحاجة إلى المواد الخام ، والعمالة ، والوقت ، والمكان ، ورأس المال ، وبقية المدخلات . لقد أصبحت المعلومات والمعرفة هى المورد الرئيسي لأى اقتصاد متقدم ، ومن ثم ارتفعت قيمتها إلى عنان السماء .

الطريق إلى صناعة الثروة

لكى نفهم التغيرات غير العادية التي حدثت منذ عام ٥٦ بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث زاد لأول مرة عدد أصحاب الياقات البيضاء على عدد أصحاب الياقات الزرقاء ، ولكى نستشرف التغيرات الأكبر حدة التى تخبئها الأيام ، فنحن فى حاجة إلى أن نتبين الملامح الرئيسة لاقتصاديات الموجة الثالثة.

أول هذه الملامح أن المعرفة وما تتضمنه من بيانات، ومعلومات، وصور ، ورموز ، وثقافة ، وأيديولوجيات وقيم هى الآن المصدر الرئيسى لاقتصاديات الموجة الثالثة ، وكما أسلفنا البديل النهائى لجميع مدخلات العملية الإنتاجية وعناصرها التى كانت سائدة فى اقتصاديات الموجة الثانية من عمالة ، ورأس مال ، ومواد . فهي تقلل من قيمة كل هذا ، وتحسن الاستفادة من عنصري الوقت والمكان ، وبالتالى تقلل التكلفة.

ثانى هذه الملامح ما أسماه المؤلفان بقيم غير ملموسة حيث يوضحان أن قيمة أية شركة ، أو مصنع أوجدته الموجة الثانية تقاس بالأصول الثابتة مثل المبانى، والآلات، والمواد الخام ، والمخزون ،

بينما تكمن قيمة الشركات الناجحة في الموجة الثالثة - باستمرار- في قدرتها على اكتساب المعرفة ، وتوليدها ، وتوزيعها ، وتطبيقها استراتيجيا وعملياً.

ثالث ملامح اقتصاديات الموجة الثالثة هو الانتاج غير المتكتل أو بالتجزئة . وقد سبق أن بينا أن من خصائص اقتصديات الموجة الثانية الانتاج الغزير،أو بالجملة ، أو الجماهيرى حيث يتميز المنتج بالنمطية ، أما فى ظل اقتصاديات الموجة الثانية فيسير الإنتاج في اتجاه معاكس حيث يسعى إلى إنتاج أشياء مختلفة ،ومتباينة ومتنوعة ، ورخيصة ، ومناسبة لرغبات العملاء . وهذا ما تسعى إليه شركات الموجة الثالثة التى تعمل غالباً بالربوت (الإنسان الآلى) . وستكون النتيجة الثورية هى تجزئة الإنتاج الغزير.

إن التحول إلى التكنولوجيات المرنة الدقيقة يؤدى إلى زيادة التنوع ، وإتاحة الفرص للمستهلك للاختيار إلى أقصي حد ممكن بين منتجات متنوعة في الأنماط والأحجام ، والموديلات ، والألوان ، بل سيؤدى إلي تفكك أسواق التجارة الكبيرة إلى أنواع من الأماكن الصغيرة أقرب ما تكون إلى "الكوة" . وقد أصبح من السهل على رجال الأعمال أن يحددوا احتياجات الأفراد ، وأن يتم الشراء من

خلال الكمبيوتر والبريد ،وغيرها من النظم التى تقدم مجموعة متنوعة متزايدة من القنوات التى عن طريقها يمكن للمنتجين توزيع سلعهم وبضائعهم علي العملاء ، والمستهلكين فى أسواق صغيرة تتزايد باستمرار ، أو بصورة مباشرة .

الملمح الرابع لاقتصاديات الموجة الثالثة هو العمل . وبالرغم من أن العمل عنصر من عناصر اقتصاديات الموجة الثانية إلا أن عناصره قد تغيرت . إن العمل العضلى ذا المهارة الضعيفة هو الذي انطلق بالموجة الثانية ، بينما سيسود العمل ذو المهارة الكبيرة . إن أى عامل لايتمتع بمهارة كبيرة يمكن أن يستبدل وبسرعة بأى عامل آخر وبتكاليف أقل ، بينما - على النقيض - سيكون الحصول على الشخص المناسب ذى المستوي المرتفع من المهارة المتخصصة التى تتطلبها اقتصاديات الموجة الثالثة أمراً أكثر صعوبة ، وأكثر تكلفة كما سيشمل التغير فى عناصر العمل نسبة العمالة المباشرة إلى العمالة غير المباشرة . والمعروف أن المقصود بالعمالة البشرية أولئك الذين يقفون على أرض المصنع ، ويقومون بأنفسهم بالمشاركة في صنع المنتج ، أما ماعداهم فيوصفون بأنهم عمالة غير مباشرة ، وغير منتجة ، ويقومون بإسهامات غير مباشرة . في ظل اقتصاديات الموجة الثالثة ستصبح الفروق غير واضحة ، حيث ستنتج العمالة

غير المباشرة إنتاجا ذا قيمة كبيرة مثل العمالة المباشرة إن لم يكن أكثر.

مع اقتصاديات الموجة الثالثة سيكون للملمح الابتكارات (الملمح الخامس) دور أكثر خطورة وأهمية ، إذ سيحتاج الأمر إلى ابتكارات مستمرة من أجل التنافس، وذلك فى مجالات الإنتاج ، والتكنولوجيا ، والعمليات ، والتسويق ، والتمويل . وللدلالة على أهمية الابتكار نلاحظ أن حوالي ألف منتج جديد يقدم شهريا في محلات التجارة الامريكية، وأن جهاز الكمبيوتر موديل ٥٨٦ قد أخذ طريقه حتى قبل أن يحل موديل ٤٨٦ محل الموديل القديم رقم ٣٨٦.

أما الملمح السادس فيتعلق بالتغير في وحدات العمل، حيث سيصغر نطاق العمليات ، ومداها Scale فى الكثير من المنتجات ، وستحل فرق صغيرة للعمل محل الأعداد الكبيرة من العمال، والأعمال الكبيرة ستصبح أصغر وأصغر ، والأعمال الصغيرة ستتضاعف . وللدليل علي ذلك نجدأن شركة IBM كبيرة الحجم بعمالة ستصل إلى ٣٧٠٠٠٠ عامل تكاد تختنق من الشركات الصغيرة المحيطة بها في أنحاء العالم . وللخروج من هذا المأزق،

وحرصا على البقاء قامت بتسريح الكثير من العمال ، وتجزىء نفسها إلى ثلاث عشرة وحدة صغيرة مختلفة من العمل . ويتضمن هذا الملمح تغير آخر يتصل بدرجة التعقيد فى الشركات ، فلقد كان من سمات الموجة الثانية الشركات العملاقة شديدة التعقيد التى تسعي إلى التوسع إلى أقصي حد ممكن ، أما في ظل اقتصاديات الموجة الثالثة فسيكون الأصل عدم التعقيد في الشركات،والصغر فى الحجم . إن الفكرة القديمة القائلة بأنه كلما كبرت الشركة، كلما كان ذلك أفضل فى طريقها إلى أن تكون فكرة بالية غير مناسبة للعصر . وسيحل في إطار اقتصاديات الموجة الثالثة الشركات صغيرة الحجم، قليلة التعقيد محل الشركات كبيرة الحجم ، بالغة التعقيد .

ويدور الملمح السابع لاقتصاديات الموجة الثالثة حول التنظيم ، إذ تتسابق الشركات اليوم حتي تتكيف مع التغييرات السريعة جدا فى أن تنزع عن نفسها التنظيم الهرمى، والهياكل البيروقراطية وليدة الموجة الثانية . ويجري البحث حول أشكال جديدة للتنظيم ، ومنها -على سبيل المثال- "إعادة الهندسة" Re - engineering،حيث يجري العمل لإعادة تنظيم الإدارة لتتناسب مع العمليات أكثر منها مع الأسواق والتخصصات . إن تنظيمات المصفوفة "Matrix"تأخذ طريقها لتحل محل التنظيمات المعيارية، والهرمية القائمة حاليا .

وفي ظل التغير المستمر للأسواق فإن الموقع صار أقل أهمية من المرونة والقدرة على المناورة ،وهو ما ينبغى أن يسمح به تنظيم الموجة الثالثة .

أما الملمح الثامن لاقتصاديات الموجة الثالثة فيتناول "تكامل النظم" ، حيث أن التعقيد المتزايد يتطلب إدارة أكثر قدرة على استخدام العديد من النظم المتكاملة . ولقد ضرب المؤلفان لذلك مثلا بشركة للغذاء عليها أن توفر خمسمائة طلب يوميا لمئات الآلاف من المنتجات التى ينبغى أن تشحن من ٤٩ مصنعا ، و ١٣ موقعا للتوزيع ، وعليها - في نفس الوقت - أن تضع في الحسبان ٣٠٠٠٠ من أنواع التعاملات المختلفة مع زبائنها . إن إدارة هذا النوع من الشركات المعقدة في حاجة إلى أشكال جديدة من القيادة ، ونظام عالى المستوى من تكامل النظم . وهذا يتطلب -في حد ذاته- أحجاماً متزايدة من المعلومات تضخ في أوعية الشركة.

ويدعو الملمح التاسع لاقتصاديات الموجة الثالثة إلي إنشاء البنية الأساسية للمعلومات ، إذ أن بلايين الدولارات تنفق الآن على الشبكات الإلكترونية التى تربط بين أجهزة الكمبيوتر ، وقواعد البيانات ، وتكنولوجيا المعلومات الأخري ، وذلك حتي يمكن

الإمساك بكل شيء فى الشركة ، ومتابعة جميع العناصر والمنتجات، والتنسيق بين عمليات تسليم المنتجات ، وتعرف المهندسين وخبراء السوق على أفكار بعضهم وخططهم ، وعلى تحديد متطلبات الإنتاج ، وفوق كل ذلك وضع صورة متكاملة عن كل مايجرى داخل الشركة أمام الإدارة . ويكفي لكى نبين خطورة البنية الأساسية للمعلومات أن نعلم أن اليابان قد رصدت ٢٥٠ بليون دولار أمريكى لتطوير شبكات أسرع وأفضل خلال الخمس والعشرين سنة القادمة . ويدرس البيت الأبيض الأمريكى خطة لإقامة "طريق سريع أعظم للمعلومات" Information Superhighway. إن المسارات الإلكترونية تشكل البنية الأساسية لاقتصاديات الموجة الثالثة.

أما الملمح الأخير لاقتصاديات الموجة الثالثة فهو الإسراع ، والمزيد من السرعة ، إذ أن كل هذه التغييرات تدعو إلى التعجيل والإسراع بدرجة تجعل المقولة القديمة " الوقت هو النقود" مقولة بالية يحل محلها " إن كل فاصل من الوقت أكثر أهمية من الفاصل الذى سبقه" . لقد أصبح الوقت متغيرا حاكماً ، كما تظهر قيمته في تسليم المنتجات في الوقت المناسب تماما ، وفى تقليل زمن اتخاذ القرار . إن اقتصاديات الموجة الثالثة تقوم على اقتصاديات السرعة بدلا من اقتصاديات المدى فى اقتصاديات الموجة الثالثة "Economies of Speed replace Economies of Scale".

وقد عبر أحد المدراء التنفيذيين فى إحدى الشركات عن ملمح الإسراع بقوله : " المال يتحرك بسرعة الضوء ، وعلى المعلومات أن تتحرك أسرع" . وهكذا يدفع الإسراع بأعمال شركات الموجة الثالثة أقرب فأقرب إلى مفهوم الزمن الحقيقي .

هذه الملامح العشرة - مع غيرها - لاقتصاديات الموجة الثالثة تضاعف التغيير الهائل في كيفية صناعة الثروة وتكوينها . وقد شهد هذا التحول التاريخى تقدما ملموساً بحلول التسعينيات بعد أن استجمع قوته ، وسرعته منذ أوائل السبعينيات . ومن المؤسف أن الكثير من التفكير الاقتصادي الأمريكى قد تخلف عن مسايرة هذا التغيير الهائل.

المسميات المادية

في غداء عمل صغير في البيت الأبيض الأمريكي في فترة رئاسة رونالد ريجان اجتمع نفر من المشتغلين بالمستقبليات مع الرئيس ،ونائبه ،وكبير موظفي البيت الأبيض ، ودار الحوار حول مستقبل التصنيع في الولايات المتحدة الأمريكية . وكان اتجاه الحديث أن أمريكا ستظل قوة صناعية كبيرة إلا أن حجم العاملين في هذا القطاع سيأخذ في التناقص . إن التطور في العاملين في القطاع الصناعي سيأخذ نفس المنحنى الذى تم في القطاع الزراعي، حيث قل عدد العاملين فيه بشكل ملحوظ ، والولايات المتحدة الأمريكية واحدة من أكبر منتجي الغذاء في العالم مع أن نسبة العاملين به أقل من ٢٪ من قوة العمل المشتغلة بالزراعة ، ولماذا لايصدق الشيء نفسه على قطاع الصناعة؟ إن الكثير من المصانع الأمريكية قد أقدمت على الأخذ بالأوتوماتية ، أو التشغيل الآلي ، وإعادة تنظيم هياكلها في الثمانينيات،والتسعينيات،مما أدى إلى انكماش أعداد العاملين بها . وإذا كانت التقديرات تنبيء بأن الولايات المتحدة سوف تستحدث عشرة آلاف وظيفة جديدة في العقد القادم ، فإن

قطاع الصناعة سوف يحظي بالقليل منها ، وربما لايحظي بشيء منها . وهناك عمليات مشابهة لذلك تجرى في الاقتصاد الأوربى ،واليابانى أيضا .

إن هذا الحوار قد أظهر وجود شكل جديد لظاهرة البطالة ، وتحول واضح في تكوين قوة العمل . فمنذ الستينيات ساد التحول من العمل اليدوى للموجة الثانية إلى العمل الخدمى،والنشاط شديد الرمزية للموجة الثالثة . وصار هذا التحول مؤثرا لايمكن الرجوع فيه، بحيث أصبحت النشاطات الأخيرة تستوعب فى أمريكا اليوم ثلاثة أرباع القوى العاملة . ويظهر هذا التحول العظيم على مستوى العالم في هذه الحقيقة المذهلة ، وهى : أن صادرات العالم من الخدمات، والملكية الفكرية تساوى الصادرات من الإلكترونيات ، والسيارات معا، أو تساوى الصادرات من الغذاء ، والطاقة مجتمعين.

مع إحلال المزيد من تكنولوجيات الموجة الثالثة ،فإن الشركات تحتاج إلى نوع مختلف تماما من القوى العاملة . لقد كانت مصانع الموجة الثانية القديمة تحتاج إلى عمال يمكن استبدال بعضهم مكان بعض .أما عمليات الموجة الثالثة فهى - على النقيض ، كما أسلفنا - تتطلب مهارات متنوعة، ومتقدمة، وقابلة للتطور باستمرار،

الأمرالذى يعنى أن هذا النوع من العمالة فى الموجة الثالثة غير قابل للاستبدال بسهولة . وهذا من شأنه أن يغير طبيعة مشكلة البطالة ، أو عدم التشغيل ، ويقلب النظر إليها رأسا على عقب .

كان من الممكن في اقتصاديات الموجة الثانية أن يؤدى الإنفاق الرأسمالي ، أو القوة الشرائية للمستهلكين إلى تنشيط الاقتصاد ، وخلق وظائف جديدة من النوع الذي يحتاج إلى زمن قصير - قد يقل عن الساعة - لاكتساب مهارات العمل . أما في الاقتصاد العالمى اليوم فقد يؤدى امتلاء جيوب المستهلكين بالنقود إلى تدفق هذه الأموال فيما وراء البحار دون أن تقوم بأى دور في مساعدة الاقتصاد الوطنى ، إذ أنها ستؤدي إلى شراء منتج قد يكون من إنتاج دول أخرى ، ومن ثم تتدفق أموال المستهلكين إلى منتجين من خارج المجتمع . لقد ظهر الآن أن الاستراتيجيات القديمة للتشغيل لم تعد صالحة لأنها تركز علي دورة المال أكثر من التركيز على دورة المعرفة . لم يعد من الممكن تخفيض البطالة بزيادة الوظائف ، ذلك لأن المشكلة لم تعد مجرد أعداد ، وإنما تجاوزت المفهوم الكمى إلى المفهوم النوعى .

إن أية استراتيجية فعالة ومؤثرة لتقليل البطالة في

اقتصادشديد الرمزية تعتمد بشكل أقل على جمع الثروة ،وبشكل أكبر على جمع المعرفة . ولأن هذه الوظائف الجديدة لايحتمل أن تتوافر -إلى حد كبير- في مجال التصنيع ، فإننا فى حاجة إلى أن نعد الناس عن طريق المدرسة ، أو التدريب المهنى ، والتعليم والتدريب أثناء العمل ، علي العمل في مجال الخدمات الإنسانية مثل رعاية كبارالسن ، ورعاية الأطفال ، والخدمات الصحية ، والأمن الشخصي، وخدمات التعليم والتدريب ، وخدمات الترفيه والترويح ، وخدمات السياحة ، وما إلى ذلك . يجب أن نضفي على وظائف الخدمات الإنسانية نفس الاحترام الذي تمتعت به وظائف الصناعة . وإذا كانت الأجور منخفضة فى قطاع الخدمات ، فحينئذ يكون الحل هو أن نزيد من إنتاجية الخدمات .

خلاصة القول، إن ظهور الاقتصاد شديد الرمزية يفرض إعادة النظر في مفهوم مشكلة البطالة بكل أبعادها من جذورها ، إذ أن نظام الموجة الثالثة فى تكوين الثروة يهدد علاقات القوى التى استقرت طويلا في الشركات ، والحكومات ، والاتحادات . كذلك فإن الاقتصاد شديد الرمزية يجعل من مفاهيمنا الحالية عن العمل شيئا باليا ، ومن ثم ، فنحن فى حاجة إلى معجم جديد ، ومفردات جديدة للغة . إن تقسيم الاقتصاد اليوم - على سبيل المثال - إلى

قطاعات كالزراعة ، والصناعة ، والخدمات لايساعد على وضوح الرؤية بقدر ما يزيدها غموضاً ، ولكى نتفهم ما وراء هذه التصنيفات نريد الإجابه على سؤال : ماذا يفعل الناس في هذه الشركات حقا لكى يقدموا قيمة مضافة ؟ وهنا سنجد أن الكثير من الأعمال في هذه القطاعات الثلاثة يتضمن عملا رمزيا ،أو عملا عقليا . إن التصنيفات المهنية تنهار أيضا . فإذا صنفت عاملا على أنه حارس لمخزن ، أو يقوم بتشغيل آله ، أو مندوب مبيعات فأنت تخفى أكثر مما تظهر . إنه من المفيد اليوم أن نصنف العمال حسب كم العمليات الرمزية ، أو العمل العقلى الذى يقومون به كجزء من وظيفتهم بغض النظر عن الوصف الذى يحملونه ، أو ما إذا كانوا يعملون في مخزن، أو على شاحنة ، أو فى مصنع ، أو مستشفي، أو أحد المكاتب.

إننا في مجالات العمل العقلى نجد العالم الباحث ، والمحلل المالى ، وواضع برامج الكمبيوتر ، كما نجد الكاتب العادى للسجلات . إننا نجد في هذا التصنيف الكثير من الوظائف المختلطة التى تتضمن أعمالا بدنية ، وأخرى - في نفس الوقت - تتصل بمعالجة البيانات . إن السائق - اليوم - يقوم ، بالإضافة إلى مهارات قيادة سيارته ، بتشغيل الكمبيوتر المجاور له . وكذلك

الأمر فى المصانع المتقدمة يكون العامل الذى يقوم بتشغيل الآلة مدربا تدريباً عالياً علي المعلومات . وهكذا يفعل العامل الميكانيكى في مصانع فورد للسيارات ، فاليد ملطخة بالشحم والزيت ، ولكنه يستخدم جهاز الكمبيوتر ، ويساعد فى إصلاح الأعطال والخلل ، مع تقديم الكثير جدا من الرسومات التكتيكية والبيانات المخزنة في CD- ROM.

إن الوظائف اليدوية الخالصة تختفي وتتوارى ، ويحل محلها بشكل متزايد أصحاب المعرفة والإدراك ، وتتحول فئة البروليتاريا إلى أقلية ، أو تصبح البروليتاريا من ذوى المعرفة والإدراك Cognitariat. إن تصنيف الوظائف - اليوم - وتحديد الأعمال يجب أن يتم فى ضوء ما تتضمنه الوظيفة من مدى وحجم لمعالجة المعلومات ، وهل هذه المعلومات يمكن برمجتها ،أم أنها روتينية؟ وما مستوى الأفكار المجردة التى تشتمل عليها ؟ ومدى قدرة الشخص على الاتصال ببنك البيانات المركزي واستخدامه ؟ وإلى أى مدى يتمتع الفرد بالاستقلالية والمسئولية؟

على نفس النمط الذى نطالب تصنيف العاملين فى ضوئه ، يمكن النظر أيضا الي تصنيف الشركات وفقا لمجالات العمل العقلى،

وليس وفقاً لقطاعات النشاطات الاقتصادية التقليدية . وهنا يمكن تصنيف الشركات ما بين شركات تنتمى إلى مستويات عليا من العمل العقلى ، وأخرى تنتمى إلى مستويات متوسطة من العمل العقلي ، وثالثة تنتمى إلى مستويات دنيا من العمل العقلى .

إن الشركات ذات المستويات الدنيا من العمل العقلى تركز العمل العقلى في عدد قليل يجلسون على القمة ، تاركين العمل العضلى، أو الأعمال التي لاتحتاج إلى إعمال العقل إلى الآخرين. وهم بهذا يعتبرون العمال جاهلين ، أو أن معلوماتهم - على أية حال - لاعلاقة لها بالإنتاج . أما الشركات ذات المستويات المتوسطة من العمل العقلى، فبالرغم من أنها تتطلب أعمالا عضلية،إلا أن الإتجاه الغالب فيها هو التحرك نحو المزيد من العمل المعتمد على المعرفة.

وأخيرا نجد الشركات ذات المستويات العليا من العمل العقلى ، حيث ينخفض العمل اللاعقلى إلى أدنى حد ، ويقوم بالأعمال البسيطة والمتكررة أجهزة الروبوت ، إذ أنها لاتحتاج إلى تفكير ، وتتم من خلال عمل الإنسان الآلى robotization، ويتركز العمل في مجالات العمل العقلى بحيث تصبح القوى العاملة بها أقل عددا ، وأعلى مستوى ، وأفضل أجراً . إن هذه الشركات تشجع العاملين

فيها لا على أن يستخدموا عقولهم الواعية فحسب ، بل تشجعهم أيضا على أن يحشدوا عواطفهم ، وحواسهم، وخيالهم فى وظيفتهم.

فى ظل هذا التصنيف يمكن أن تنشأ أيديولوجيتان مختلفتان عن كل من أيديولوجية السوق الحرة، والماركسية . والأيديولوجيتان الجديدتان إحداهما مرتبطة بالاقتصاد القائم على المستويات الدنيا من العمل العقلى ، وإليها تنتسب الرأسمالية والشيوعية . أما الأيدويولوجية الثانية فترتبط بالاقتصاد القائم على المستويات العليا من العمل العقلي ، وهى قادرة على أن تحل محل الأيديولوجيتين : الرأسمالية والماركسية.

فى هذا الصدد يتحدث المؤلفان عن أيديولوجية العمل العقلى المنخفض ، حيث تقاس الثروة فى اقتصاديات الصناعة ذات المستويات الدنيا من العمل العقلى بامتلاك السلع والبضائع ، كما أن إنتاج السلع هو الأمر الجوهرى ، أما إنتاج المعرفة أو تبادل المعلومات فإنه لم يكن موضع تقدير لدى أصحاب هذه الأيديولوجية ومن ثم ، فإن هذه الأيديولوجية تنطوى على فيض من العبارات التى تتناسب معها مثل : الإنتاج هو مجموع الموارد المادية ، والآلات والعضلات ، وأن أكثر الأرصدة أهمية في أية شركة هى الأشياء

الملموسة، وأن الثروة القومية تتدفق من فائض التجارة في السلع ، وأن الإتجار في الخدمات مهم فقط لأنه يعمل على تسهيل التجارة في السلع ، وأن معظم التعليم مضيعة للوقت إن لم يكن مهنيا ، وأن البحوث خيالية ومضللة ، وأن الفنون الحرة لاعلاقة لها بهذه الأمور ، إذ أنها - من وجهة نظرهم - تعادي النجاح في مجالات العمل . وباختصار ، فإن ما يهمهم هو المادة ، والمادة فحسب ، ولذا فإن المسميات المادية تعنى أيديولوجية التصنيع بالجملة للموجة الثانية .

لم تكن مثل هذه الأفكار مقصورة على رجال الأعمال الرأسماليين فقط ، وإنما كان هناك ما يماثلها فى العالم الشيوعى ، فقد عانى الاقتصاديون الماركسيون وهم يحاولون إدماج العمل الذى يقوم على الثقافة الرفيعة فى خططهم . إن تمجيد البروليتاريا يعكس مبادىء إقتصاديات المستويات الدنيا من العمل العقلي . واليوم لم يعد لهذه المسميات المادية معنى أو دلالة ، فمعظم المنتجات تكمن في المعرفة التى تنطوى عليها ، وأية دولة تختار لنفسها سياسات تقوم على المسميات المادية تحكم على نفسها بأن تصبح -على حد قول المؤلفين - بنجلاديش القرن الحادى والعشرين .

ثم يتحدث المؤلفـان عن أيديولوجية العمل العقلى الرفيع بقولهم " إن الشركات ،والمؤسسات ، وأصحـاب المصالح القوية في اقتصاد الموجة الثالثة لم يبلوروا بعد أية خطة مضـادة متماسكة ، أو مبادىء مضادة يؤسسون عليها سياساتهم ، على الرغم من أن هناك بعض الأفكار الضمنية التى بدأت تتضح . فها هو "هنرى وو" Henry K. H. Woo من هونج كونج يقوم بتحليل الأبعاد غير المرئية للثروة ، ثم " أوريو جياريني "Orio Giarini " من جنيف الذى يطبق مفاهيم المخاطرة والغموض فى تحليله لخدمات المستقبل ، وأخيرا الأمريكى وولتر ويسكوف"Walter Weisskopf الذى يكتب عن دور الظروف غير المتوازنة للتنمية الاقتصادية .

والسؤال الملح هنا هو: كيف يمكن للنظم أن تتصرف وتتعايش مع هذا الاضطراب ؟ وكيف يولد النظام من الأحوال التى تتسم بالفوضى ؟

إن الاجابة علي هذا السؤال ذات صلة كبيرة بالأعمال والاقتصاد ، فكتب الإدارة تتحدث عن النمو والازدهار في حالات الفوضي والاضطراب .

والاقتصاديون يشيـــرون إلى "جوزيف شومبيتر"Joseph Shumpeter الذى تحدث عن الهدم الخلاق Creative destruction

كعنصر أساسى للتقدم. ففي ظل هذا الاضطراب ، وهذه الفوضى يحدث التجديد ، وإعادة التنظيم ، والقفزات ،والمشروعات المشتركة، الأمر الذى يجعل الاقتصاد بأكملة يأخذ بنية جديدة تتسم بالتنوع، والتغير السريع ، والتعقيد أكثر مما حدث في ظل اقتصاد الموجة الثانية . وهكذا ، فإن النموذج الجديد للإنتاج الذي انبثق عن اقتصاد شديد الرمزية مختلف تماما ، إذ أنه يقوم على أساس نظرة شاملة متكاملة ، فهو يرى الإنتاج متزامنا وتوليفيا ، أى أن أجزاء العملية ليست هى الكل، ولايمكن أن تنعزل جزئية عن الأخرى . كما يقوم النموذج الجديد للإنتاج على أن المعرفة - وليست العمالة الرخيصة ، أو المواد الخام - هى التى تجسد القيمة وتضيف إليها .

هذا المفهوم الجديد العميق لموارد القيمة المضافة مشحون بالعواقب والنتائج ، فهو يحطم مزاعم وافتراضات كل من السوق الحرة والماركسية معا ، وأيضا المسميات المادية التى أوجداها . إن المفهوم الجديد لخلق الثروة يقوم أساسا على الأهمية المتزايدة لعمل العقل، والأيديولوجية القائمة على المعلومات والمعرفة.

صدام الاشتراكية مع المستقبل

يتحدث المؤلفان في هذا الفصل السادس من الكتاب عن سقوط الحكومة الشيوعية ، وصدامها مع متغيرات حضارة الموجة الثالثة. إذ يوضحان أن نقطة البداية ظهرت بسقوط الحكومات الشيوعية في شرق أوربا عندما ألمحت موسكو إلي أنها لن تستخدم قواتها لحماية تلك الحكومات من شعوبها، ولكن الأزمة التي تعرضت لها الاشتراكية كنظام في الاتحاد السوفيتي والصين وفي أماكن أخري كانت أكثر عمقا.

من ناحية أخري، فإن ظهور الكمبيوتر ووسائل الاتصال الحديثة في منتصف القرن العشرين قد قضي علي سيطرة موسكو على عقول الدول التي كانت تدور في فلكها، أو كانت أسيرة لها. ولذا كان الفشل الجوهري للإشتراكية في القرن العشرين يعزي إلي أفكارها العتيقة البالية عن المعرفة.

كذلك كان هدف النظام السياسي القائم علي أساس الحزب الواحد هو السيطرة والمراقبة علي الاتصالات السياسية، وسد الطريق أمام التغذية الراجعة لكي تخفي المشكلات المعقدة عن السلطة. كذلك فإن النظام في الدول الاشتراكية يقوم علي الأكاذيب

والمعلومات الخاطئة. فهو نظام يستخدم البيروقراطية الطاغية وسيلة لتقييد المعلومات والمعرفة، وقصر الاتصالات علي القنوات الرسمية فقط. وأسوأ ما يعيب هذا النظام وجود البوليس السري، وتحكم الدولة في وسائل الإعلام ،وإرهاب المثقفين، وقمع حرية الفن .

لقد ظل أصحاب النظريات الماركسية مرتبطين بالموجة الثانية وماضيها، وكان ذلك - في حد ذاته - قيدا علي المعرفة، وحجر عثرة في سبيل التقدم الاقتصادي . وقد كان ميخائيل جورباتشوف أول زعيم سوفيتي يتعرف علي هذه الحقيقة التاريخية عندما قال في عام ١٩٨٩: « إننا نكاد نكون من بين آخر من تيقن من الدول بأن المعرفة هي أغلي رصيد في عصر علوم المعلومات . »

في العالم الاشتراكي كانت الدولة - وليس العمال - هي المستفيدة الوحيدة من الثورة الاشتراكية التي فشلت في تحقيق تحسين الأحوال المادية. ويضيف المؤلفان أن المشروعات التي تمتلكها الدولة الاشتراكية تسيء معاملة موظفيها، وتلوث الجو في مجال العمل، والحياة بوجه عام، ذلك لأنها تشجع السوق السوداء وتتسم بالبيروقراطية، وعدم الكفاءة ، فضلا عن كونها بؤرة للفساد الذي عم البلاد في هذا العالم الاشتراكي.

إن نظام تكوين الثروة في الموجة الثالثة - والذي ينتشر الآن- يتحدي أسسًا ثلاثة تقوم عليها العقيدة الاشتراكية. لنأخذ مسألة

الملكية، فمنذ البداية أرجع الاشتراكيون الفقر، والكساد، والبطالة، والشرور الأخرى للتصنيع إلى الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. وكانت الوسيلة لعلاج هذه الآلام هى أن يمتلك العمال المصانع ، إما عن طريق الدولة أو التعاونيات . وعندما يتحقق ذلك ، فإن الأمور ستكون مختلفة ، حيث لا مناقشة، ولا تبذير، ولكن تخطيط واع ودقيق، وسيكون الإنتاج للاستخدام لا للربح، والاستثمار الذكى لدفع الاقتصاد إلي الأمام . إن حلم الرخاء للجميع سوف يتحقق لأول مرة في التاريخ.

لقد فشلت الاشتراكية في أن تفي بوعودها بتحسين الأحوال المادية للحياة بصورة جذرية. الأسوأ من ذلك، والأكثر سخرية أن مشروعات الملكية العامة تعمل بأسلوب رجعي بدلا من أن تقود التقدم التكنولوجي كما صدرت الوعود بذلك. إنها أكثر المشروعات بيروقراطية، وأبطأ المشروعات في إعادة تنظيم هياكلها، وأقلها رغبة في التكيف مع الاحتياجات المتغيرة للمستهلك ، وأكثرها خوفا من أن تقدم المعلومات إلي المواطن ، وآخر من يتبني التكنولوجيا المتقدمة .

لأكثر من قرن كان الاشتراكيون، والمدافعون عن الرأسمالية، يشنون حربا مريرة علي الملكية العامة في مواجهة الملكية الخاصة. وقد استسلم عدد كبير من الرجال والنساء لهذه القضية. ولكن الذي

لم يتصوره أي من الطرفين أن يوجد نظام جديد لتكوين الثروة من شأنه أن يجعل من حججهم شيئا باليا . ومع ذلك، فهذا هو الذي حدث . إن أهم أشكال الملكية الآن غير ملموس ، فهو رمزي إلي حد كبير، إنه المعلومات والمعرفة. نفس المعلومات يمكن أن يستخدمها كثيرون في وقت واحد لتكوين الثروة، ولإنتاج المزيد من المعلومات . فالمعرفة والمعلومات - علي عكس الحقول والمصانع - معين لا ينضب .

لنأخذ الأساس الثاني الذي تقوم عليه العقيدة الاشتراكية وهو التخطيط المركزي. إن التخطيط الذكي من القمة إلي القاعدة سيكون - في نظر هذه العقيدة - قادرا علي تركيز الموارد في القطاعات المهمة الرئيسة، وقادرا علي تحقيق التنمية التكنولوجية. إن التخطيط المركزي يعتمد علي المعلومات . وقد صارعت أجيال من المخططين الاشتراكيين الجادين بقوة للحصول علي المعرفة، فقد كانوا يطلبون المزيد من البيانات، فيحصلون علي المزيد من الأكاذيب من قبل المدراء الذين يخشون أن يتحدثوا عن نواحي فشلهم في الإنتاج .

بعد ثلاثة أرباع القرن منذ قيام الثورة الروسية ، ومع تطبيق التخطيط المركزى من القمة إلي القاعدة لم يعد شعار الاتحاد السوفيتى هو المطرقة والمنجل، وإنما صار طابور المستهلكين . واليوم

- وعلي اتساع الرقعة الاشتراكية - يتسابق الجميع لإدخال اقتصاديات السوق. وأصبح من المعترف به من جانب المصلحين الاشتراكيين أن السماح للعرض والطلب لكي يحدد الأسعار يوفر ما لم تستطعه الخطط المركزية ، فمؤشرات الأسعار هي التي تشير إلي ما هو ضروري أو غير ضروري .

إن أهم اختلاف بين الاقتصاديات التي تتم بالتخطيط المركزي، وبين الاقتصاديات التي يحركها السوق هو أن المعلومات في الأولي تتدفق رأسيا، علي حين يتدفق المزيد من المعلومات فى السوق الثانية أفقيا، وقطريا داخل النظام، مع تبادل المشترين والباعة للمعلومات عند كل مستوي من مستويات التعامل. هذا التغيير لا يهدد فحسب كبار الديمقراطيين في وزارات التخطيط وفي الإدارة، بل يهدد أيضا الملايين من صغار البيروقراطيين الذين يعتمد سلطانهم علي التحكم في المعلومات التي تغذي قنوات التقارير .

إن الأساليب الجديدة لتكوين الثرو تتطلب الكثير من المعرفة، والكثير من المعلومات، والكثير من الاتصالات. وهي بذلك بعيدة كليا عن اقتصاديات التخطيط المركزي . وهكذا يصطدم الاقتصاد شديد الرمزية مع الأساس الثاني للعقيدة الاشتراكية .

أما الأساس الثالث للعقيدة الاشتراكية فهو التركيز المفرط علي الأجهزة والآلات، والتركيز الكلي علي الصناعة، وتجاهل الزراعة

والعمل العقلي، والانتقاص منهما. لقد تمسك الماركسيون بالنظرة المادية التي تؤكد أن الأفكار، والمعلومات، والفن، والثقافة، والقانون، والنظريات، والمنتجات الأخري غير الملموسة للعقل هي مجرد جزء من «بنية علوية» ترفرف على القاعدة الاقتصادية للمجتمع، والقاعدة هي التي تحدد شكل البنية العلوية، وليس العكس.

لقد كانت الآلات والأجهزة Hard Ware دائما بالنسبة للماركسيين أكثر أهمية من البرامج والنظم Soft Ware. أما ثورة الكمبيوتر الآن فتقول لنا أن العكس هو الصحيح. إن المعرفة هي التي تقود الاقتصاد وتسيره، وليس الاقتصاد هو الذي يقود المعرفة. إن المجتمعات ليست آلات، وليست أجهزة كمبيوتر، ولايمكن أن نحولها، أو نختزلها ببساطة إلي أجهزة، وبرامج، ونظم.

خلاصة القول، إن بزوغ اقتصاد الموجة الثالثة - ومادته الخام الرئيسة دقيقة وغير ملموسة - جاء والاشتراكية العالمية غير مستقرة علي الإطلاق، فكان صدام الاشتراكية مع المستقبل قاتلا.

تصادم جماعات الناخبين

يشير المؤلفان إلي التصادم أو الصراع المستمر بين الأحزاب السياسية في أمريكا : الحزب الديمقراطي، والحزب الجمهوري ، وبين أنصار كل من هذين الحزبين .

ها هم أنصار الحزب الديمقراطى يشكلون معسكرا رئيسيا يرتبط بحضارة الماضي، أو حضارة الموجة الثانية؛ فهم يكرسون جهودهم في عناد وتشبث للمحافظة علي المؤسسات الرئيسة في المجتمع الصناعي، أي الأسرة النواة ، ونظام التعليم الجماهيرى، والشركات العملاقة، والاتحادات التجارية الكبري، والدولة القومية المركزية، والإنتاج المتكتل (الإنتاج بالجملة) .

أما المعسكر الآخر المتمثل في الحزب الجمهوري، فإنه يرتبط بحضارة الموجة الثالثة التي تقوم علي المعرفة، وما تقدمه وسائل التكنولوجيا المتقدمة أو الحديثة مثل الكمبيوتر - تلك الوسائل التي أحدثت ثورة جذرية في كافة جوانب حياة الإنسان المادية، وغير المادية، إذ يري دعاة هذا الحزب أن مشكلات ملحة مثل الطاقة ، والحرب ، والفقر، وتآكل البيئة وتعريتها، وتفكك الأسرة ، والعلاقات الأسرية، وما يرتبط بذلك من قيم لم يعد من الممكن حلها

من خلال الحضارة الصناعية للموجة الثانية ·

ويزداد ذلك الصراع حدة إذا ما كانت الحدود، أو الخطوط الفاصلة بين هذين المعسكرين لم تتحدد أو ترسم معالمها بعد؛ فهناك من يتأرجحون بين كلا الجانبين· ومع ذلك ، فإن الخلافات بين هذين الحزبين السياسيين كبيرة وهائلة - الأمر الذي يعكس مدي التخبط والاضطراب داخل كل معسكر أو حزب منهما ·

ومن جهة أخرى ، تقدم لنا وسائل الإعلام السياسات الأمريكية علي أنها صراع مستمر كصراع المجالدين كما كان عليه الحال في روما القديمة عندما كان المجالد - وهو العبد أو الأسير - يقاتل حتي الموت ليسعد الناس· ومع ذلك، فإن الأمريكيين يتزايد انعزالهم، وضيقهم، وغضبهم علي كل من وسائل الإعلام، والسياسيين، فالسياسات الحزبية تبدو لمعظم الناس كنوع من خيال الظل الكاذب· ولذا فقد استطاع جمهور الناخبين أن يحول دون أن يتبع الحزب الديمقراطي زعماء الذين يتطلعون بفكرهم إلي الأمام·

وهكذا، يجد الحزب الديمقراطي أنه لا يزال واقعا في شرك الصورة التي يرسمها أصحاب الياقات الزرقاء ، أو العمال للواقع· ومن جهة أخري، فإن الجمهوريين الآن علي حق عندما يطالبون بإلغاء اللوائح علي نطاق واسع لأن الأعمال تحتاج إلي كل ما يمكن من مرونة لتواجه المنافسة الدولية، وتحظي بالبقاء ·

ويتجلي ذلك التصادم بين الناخبين في محاولات « كسب التأييد للماضي» Lobbying for the past ٠فنحن نري الصراع المعتاد بين الجماعات المختلفة من الموجة الثانية حول مفاسد النظام القديم، وما يمثله من حضارة صناعية٠وهذه الجماعات التي ترتبط بالموجة الثانية، وعلي الرغم من الخلاف فيما بينها، سرعان ما تندمج وتتحد لتعترض علي مبادرات الموجة الحضارية الثالثة ٠

وهذا هو السبب في أنه عندما قام «جاري هارت» Gary Hart بحملته الانتخابية في عام ١٩٨٤ من أجل رئاسة الجمهورية عن الحزب الديمقراطي، وكسب الجولة الأولي في « نيوهامبشير » New Hampshire بسبب مطالبته الأمريكيين العمل « بتفكير جديد » اتحد أقطاب الموجة الثانية في الحزب الديمقراطي لإيقافه، واستبدلوا به وولتر مونداال Walter Mondale ، وهو أحد المفكرين المتشددين للموجة الثانية ٠

كذلك يوضح المؤلفان أن صراع أو تصادم الناخبين قد تجلي أيضا عندما أقر الكونجرس مشروع قرار للبنية الأساسية في عام ١٩٩١ ، إذ تم تخصيص مائة وخمسين بليون دولار لهذا الغرض، مما يوفر أرباحا لشركات الموجة الثانية ، في حين تم تخصيص بليون واحد فقط للمساعدة في إنشاء الطريق الإلكتروني السريع ، أو الشبكات الرقمية التي تعد جوهر البنية الأساسية للموجة الثالثة -

الأمر الذي يكشف عن حالة اللاتوازن بين قوي الموجة الثانية، وقوي الموجة الثالثة في واشنطن، ومدي حدة الصراع بينهم ·

وحالة اللاتوازن هذه تعكس ما يدور من صراع بين الأحزاب السياسية الرئيسة في أمريكا· فها هو « جور » نائب الرئيس الأمريكي - وهو يتلمس الطريق إلي الموجة الثالثة - لم يستطع - رغم جهوده المضنية - أن « يعيد اكتشاف » الحكومة علي أسس الموجة الحضارية الثالثة ·

والسبب الحقيقي للتصادم بين الناخبين - كما يري المؤلفان - هو أن الصفوة من الموجة الثانية يناضلون من أجل أن يعيدوا ترسيخ ماض تتضاءل له أسباب البقاء والحياة ، وأي تحول لأسلوب جديد للحياة يزعزع السلطة، ويضعف الثروة التي اكتسبوها من خلال تطبيق مبادئ الموجة الثانية ·

وليس الأمر مقصورا علي الصفوة فحسب، بل إن الملايين من الطبقة المتوسطة ،والأمريكيين الفقراء يقاومون التحول إلي حضارة الموجة الثالثة بسبب الخوف من أن يتخلفوا، أو يفقدوا وظائفهم، أو يتدني المستوى الاقتصادى والاجتماعى لديهم ·

ويري المؤلفان في ختام هذا الفصل أنه إذا ما كتب للأسواق الحرة والديمقراطية البقاء بعد التحولات الهائلة القادمة، فإن علي السياسة الحزبية أن تصبح توقعية ووقائية ، وأنه علي الناخبين

القادمين التحرر من قواعد الموجة الثانية القديمة، واللوائح ، والضرائب، والقوانين التي تم وضعها لخدمة بارونات الصناعة، والبيروقراطية في الفترة الماضية حتي يتسني للأمريكيين المضي قدما نحو تحقيق الديمقراطية الحقيقية ، ديمقراطية القرن الحادي والعشرين.

مباديء لأجندة الموجة الثالثة

يبدأ المؤلفان هذا الفصل بالحديث عما يموج في العالم من تغيرات شديدة، وما تتطلبه هذه التغيرات من ردود أفعال أسرع وأسرع. وهما يصوران واقع الحال بقولهما : « إننا نشعر كما لو كنا نسبح ضد تيار عات لا يتوقف، أو كما يفعل من يركب الأمواج المتكسرة. وعلينا في مثل هذه الظروف الحرجة أن نستغل قوة الموجة ذاتها، وطاقتها لتدفعنا إلي الأمام ». ويري المؤلفان أن الموجة الثالثة يمكن أن تحمل أمريكا إلي مستقبل أفضل، مستقبل أكثر تحضرا، وأكثر اتزانا، وأكثر ديمقراطية . ولن يحدث ذلك إلا إذا استطاع الأمريكيون التمييز بين السياسة الاقتصادية ، والسياسة الاجتماعية لكل من الموجة الثانية ،والموجة الثالثة .

يذكر المؤلفان أننا نعيش آلام مخاض لحضارة جديدة لم تستقر مؤسساتها بعد، ويطرحان بعض التساؤلات التي تعين الإجابة عليها في اكتشاف معالم ومبادئ الموجة الثالثة، والتمييز بينها، وبين المقترحات التي تستهدف الحفاظ علي نظام الموجة الثانية المترنح .

١ - هل يتشابه مع المصنع ؟

إن المصنع هو الرمز الأساسي للمجتمع الصناعي . أما اقتصاد الموجة الثالثة فهو إنتاج ما بعد المصنع الذي يقوم علي مبادئ جديدة أهمها أن قدرا متزايدا من الإنتاج يتم في البيوت، والمكاتب، والسيارات، والطائرات. إنه إنتاج يقوم على العمل العقلي، والأفكار المجردة .

ما تزال المدارس الأمريكية - علي سبيل المثال - تعمل وفقا لنظام المصنع . إنها تخضع المادة الخام (أي الأطفال) للتعليم المقنن، والتفتيش الروتيني . والسؤال الذي يثار هنا حول أي تجديد تربوي : هل يستهدف هذا التجديد مزيدا من الكفاءة في ظل نظام المصنع؟ أم أنه - كما يجب أن يكون - يستهدف التخلص من نموذج المصنع كلية، ويستبدل به تعليما يهتم بالفرد، كما يروق للزبون ؟ وبالمثل يمكن أن نطرح أسئلة مشابهة في كل المجالات .

٢ - هل تعمل على تكتيل المجتمع ؟

إن اقتصاد الموجة الثانية يقوم علي التكلات في كل شيء : التعليم للجميع، ووسائل الإعلام الجماهيرية، والترفيه الجماعي. أما اقتصاديات الموجة الثالثة فهي تريد عاملا يفكر، ويسأل ، أو يستفسر ، ويبدع ، أي عاملا ليس من السهل استبداله. فالموجة الثالثة تؤيد الشخصية المتفردة، ولا تؤيد مبدأ الفردية الذي يؤمن

بأن مصلحة الفرد فوق مصلحة الجميع. بمعني أوضح تعمل الموجة الثالثة علي تفكك الثقافة، والقيم، والأخلاقيات .

٣ - كم بيضة في السلة ؟

إن تعقد وتنوع مجتمع الموجة الثالثة ينسفان التنظيمات شديدة المركزية، إذ أن تركيز السلطة كان - ولا يزال - وسيلة كلاسيكية من الموجة الثانية لمحاولات حل المشكلات. كما أن الإفراط في المركزية بشكل غير متوازن اليوم يضع الكثير جدا من البيض الذي «يفرخ» القرارات في سلة واحدة. والنتيجة زيادة التحميل علي القرار. وهكذا، فإن الكونجرس ،والبيت الأبيض يتسابقان في اتخاذ الكثير جدا من القرارات حول الكثير جدا من الأشياء المعقدة سريعة التغير .

أما تنظيمات الموجة الثالثة فتحاول الدفع بالكثير من القرارات من القمة إلي القاعدة لأن الناس في القاعدة غالبا ما يكون لديهم معلومات أفضل، ويستجيبون أسرع ، ويشعرون أكثر ممن هم في القمة بكل من الأزمات، والفرص المتاحة .

إن وضع البيض في سلال كثيرة أفضل من وضعه كله في سلة واحدة . هذه فكرة ليست جديدة، ولكنها فكرة يكرهها أنصار الموجة الثانية.

٤ - اهو تغيير راسى ام فعلي ؟

إن تنظيمات الموجة الثالثة - بدلا من إضافة وظائف جديدة - تختصر الوظائف ، أو تستأجرها من الباطن Subcontract حتي تبقى نحيفة رشيقة ، لا بدينة، أو متخمة بالوظائف مثل تنظيمات الموجة الثانية .

فشركات الموجة الثالثة تتعاقد علي أكبر قدر ممكن من المهام، وغالبا ما تكون مع شركات أصغر ذات تكنولوجيات عالية، وأكثر تخصصا، بل ومع أفراد يمكنهم العمل بشكل أسرع، وأفضل، وأرخص، أي أن تنظيمات الموجة الثالثة تصل بالوظائف إلي الحد الأدني، فهي تنظيمات لا نراها إلي حد ما ، وهي تعد بمثابة مسامير العجلات لعالمنا (Linchpins of our world) . ويضيف المؤلفان أن تنظيمات القطاع الخاص تقوم علي التغيير النوعي للموجة الثالثة، ولذا فالقطاع الخاص، يمضي في طائرة نفاثة أسرع من الصوت a su-personic jet ، أما القطاع العام الذي يركز القرارات في القمة ، فإنه لم يفرغ حقائبه بعد عند مدخل المطار .

٥ - هل تتيح الموجة الثالثة السلطة للبيت ؟

إن الموجة الثالثة تعيد تحويل السلطة للأسرة وللبيت ، فقد جردت الثورة الصناعية من الأسرة معظم وظائفها، إذ انتقل العمل إلي المصنع، أو المكتب، فالمرضي ذهبوا إلي المستشفيات، والصبية

إلي المدارس ،والأزواج إلي السينما والمسارح .

أما في ظل قيم الموجة الثالثة، فإن هناك ما يقدر بثلاثين مليون أمريكي يؤدون بعض أعمالهم في البيت مستخدمين أجهزة الكمبيوتر في أغلب الأحيان، والفاكس، والأجهزة الإلكترونية الأخري التي أوجدتها تكنولوجيا الموجة الثالثة .

بيد أن التغيير الحقيقي سوف يأتي عندما يصل الكمبيوتر مع التليفزيون إلي بيت الأسرة، ويدخلان معا ضمن العملية التعليمية .

إن الموجة الثالثة تستهدف إيجاد دور أقوي للأسرة علي نحو تكون فيه أسراً ذات نماذج متنوعة كثيرة. وهذا التنوع في بنية الأسرة (أسر كبيرة - أسر صغيرة - أسر بدون أطفال - أسر ممتدة ومتعددة الأجيال - أسرة نواة) يعكس التنوع الذي نجده في الاقتصاد ، والثقافة مع تفكك المجتمع الكبير للموجة الثانية .

ثم يختتم المؤلفان هذا الفصل بقولهما: «إن أمريكا هي مهد المستقبليات، وهي طليعة لحضارة جديدة .وهذا يعني أنه بالرغم من أن الأمريكيين يعيشون في حالة شك وريب شديدين ، وأن عليهم أيضا أن يتوقعوا الاضطراب وعدم التوازن، إلا أن عليهم أن يتحسسوا طريقهم نحو المستقبل مستفيدين في ذلك من تطبيق هذه المعايير وأمثالها . »

ديمقراطية القرن الحادى والعشرين

يتناول المؤلفان كيفية بناء حضارة جديدة في ظل سياسة الموجة الحضارية الثالثة .

ففى بداية هذا الفصل نجد الحديث موجها إلى الآباء المؤسسين The Founding Parents ، أو الثوريين الموتى من رجال، ونساء ، وفلاحين ، وتجار ، وحرفيين، وصناع مهرة ، ومحامين ، وعمال مطابع، الذين أقاموا دولة جديدة على الشواطئ البعيدة لأمريكا (الولايات المتحدة) ، بما فيهم خمسة وخمسين فرداً يعزى إليهم فضل صياغة « دستور الولايات المتحده »، أو « وثيقة الحقوق» التى تقنن حقوق ،وواجبات كل مواطن فى أمريكا . .

ويستطرد المؤلفان قائلين : "إن هؤلاء العظماء الذين صاغوا هذه الوثيقة الرائعة قد استشعروا - وهم ينصتون إلى الأصوات البعيدة القادمة من الغد - أن ثمة حضارة تندثر ، وأخرى جديدة تولد وتتكون ، وهذه الأخيرة هى الحاضر الذى يعيشه الأمريكيون الآن . إنهم ، أي واضعى الدستور، قد أدركوا مفهوم التقادم السياسى" « Political obsolescence » .

بمعنى أن السياسة تبلى، وتصبح عقيمة عتيقة ، ولذا فهم أدركوا أيضا أن دستور الولايات المتحدة فى حاجة إلى أن يتغير حتى يكون في الإمكان توسيع « قائمه الحقوق » بحيث يؤخذ في

الاعتبار التهديدات، والأخطار التى تتعرض لها الحرية ، وحتى يتسني للأمريكيين بناء هيكل جديد لحكومة قادرة علي أن تتخذ القرارات الواعية الذكية ، وتضع نظاما ديمقراطيا يضمن بقاء أمريكا الموجه الثالثة فى القرن الحادى والعشرين .

ثم يذكر المؤلفان أن جيفرسون Jefferson ، وهو واحد من ذلك الجيل المؤسس للولايات المتحدة، قد أعلن أن الدساتير ليست نصوصا مقدسة غيرقابلة للتغيير ، ولذا ،فالقوانين ،والمؤسسات يجب أن تسير جنبا إلى جنب مع تقدم العقل البشرى .فمع ظهور اكتشافات جديدة تتكشف حقائق جديدة ، وتتغير الأخلاق، والآراء مع تغير الظروف .

ويضيف المؤلفان قائلين :"إنه لابد أن يكون هناك أشخاص آخرون - مثل جيفرسون - فى كثير من البلاد الذين إذا أتيحت لهم الفرصة ، فإنهم سوف يعبرون عن مشاعرهم نحو ضرورة أن تكون القوانين ،والمؤسسات من المرونة بحيث تتناسب والظروف ،والتغيرات الحاصلة فى المجتمعات المختلفة .

ويرى المؤلفان أن بناء حضارة للموجة الثالثة على أنقاض مؤسسات الموجة الثانية يتطلب استحداث هياكل سياسية جديدة أكثر ملاءمة فى كثير من الدول فى وقت واحد .

ويؤكد المؤلفان أن الهياكل القديمة ، أو هياكل ما قبل الموجة

الثالثة يجب أن تتغير جذريا لأنها أصبحت عقيمة وغير عملية ، فهى لم تعد تناسب احتياجات عالم متغير .

ومن ثم ، فقد أصبح لزاما على الأمريكين لكى ينجزوا أهم مهمة سياسية في حياتهم أن يعيدوا التفكير فى الحياة السياسية فى نطاق خمسة مبادئ رئيسة قد تتبلور لتصبح المبادئ المتأصلة الراسخة لحكومات الغد في الموجة الثالثة ، بما يساعد على تحقيق ديمقراطية القرن الحادى والعشرين .

* ويتمثل المبدأ الأول فيما يسمى بـ « سلطة الأقلية »Minority Power ، فقد أصبح حكم الأغلبية - وهو المبدأ ذو الشرعية الأساسية فى عصر الموجة الثانية - عقيما وباليا .

ويضيف المؤلفان أن جيفرسون هو الذى عبر عن معتقدات جيله عندما أكد على أن الحكومات يجب أن تتصرف بإذعان مطلق فى قرارات الأغلبية ، حيث كانت "الديمقراطية الجماهيرية" هى التعبير السياسى عن الإنتاج الضخم ،والاستهلاك واسع النطاق فى عصر التصنيع ، أو عصر الموجة الثانية .

ولكن العكس هو الصحيح في الدول التى هزتها الموجة الثالثة، فالفقراء الحقيقيون لم يعد لهم أعداد من الناس يقفون إلى جانبهم ، ولذا فقد أصبحوا أقلية فى عدد كبير من الدول كما يؤكد المؤلفان .

كما أن سلطة الأقلية تتفق ومنطق العصر اليوم، حيث يشهد

العالم أنظمة تتداعى وتتفكك ، فالتفكك واللاتكتل هما سمة المجتمعات الحديثة .

وهذا شئ منطقى ، إذ يرى المؤلفان أن التوترات السياسية فى المجتمعات المختلفة ماهى إلا انعكاس للحاجة إلى نظام جديد من الإنتاج يتطلب - من أجل وجوده وبقائه - مجتمعا أكثر تنوعا . وهذا التنوع قد أصبح مطلبا إنسانيا وديمقراطيا يتلاءم وما تتطلبه حضارة الموجة الثالثة من تعدد فى الإمكانات والقدرات ، وتنوع فى المهارات التى تناسب مهنا أو حرفا معينة دون أخرى .

فاللاتكتل - إذن - يعنى وجود أقليات ،وهذه الأقليات تتفكك بدورها - الأمر الذى يستتبعه تنوع ،وتعدد يضمن للمجتمعات الصغيرة بقاءها ووجودها ،ويجعلها أكثر حيوية ونشاطا.

ويرى المؤلفان أن افتقاد المؤسسات السياسية الملائمة اليوم هو الذى يزيد من حدة الصراع بين الأقليات إلى حد العنف الدموى .

ويكمن الحل لهذه المشكلات - في رأيهما - فى ابتداع ترتيبات جديدة لتكييف التنوع ،وتقنينه ، وإيجاد مؤسسات جديدة تستشعر الحاجات المتغيرة بشكل سريع للأقليات المتغيرة والمتكاثرة. وفى زمن سلطة الأقلية يكون الاقتراع أو التصويت وسيلة ضعيفة لتحديد ،ومعرفة الإرادة الشعبية فى مجتمع يتشكل من أقليات كثيرة اليوم ، فنحن لا نعرف - من خلال الاقتراع - شيئا عن نوعية

آراء الناس ؛ وإلى أى حد يكون الشخص مناسبا أم لا .

ولحسن الحظ، فإن تكنولوجيات الموجة الثالثة تقدم المسارات نحو ديمقراطية القرن الحادى والعشرين ، فهي تجعل من الممكن وجود أشكال جديدة للديمقراطية كانت تعتبر حتى الآن غير عملية .

* والدعامة الثانية (أو المبدأ الثانى) لنظم الغد السياسية هى مبدأ « الديمقراطية شبه المباشرة » Semidirect democracy ، وهى تحول من الاعتماد على النواب ،أو الممثلين إلى تمثيل أنفسنا ، والمزج بين الإثنين هو الديمقراطية شبه المباشرة .

فانهيار الإجماع بين الناخبين يهدم المفهوم الحقيقى للتمثيل النيابى . كذلك يرى المؤلفان أن واضعى القوانين قد تزايد اعتمادهم على عون مساعديهم ومساندتهم ، وأيضا على الخبراء الأجانب من أجل المشورة لصياغة القوانين ، مما يعمق مفهوم الديمقراطية شبه المباشرة .

من جهة أخري ، يضيف المؤلفان أن التقدم المذهل في تكنولوجيا الاتصالات اليوم يفتح - لأول مرة - الطريق أمام الإمكانات الهائلة والكثيرة للعقل من أجل أن يشترك المواطن مباشرة فى صنع القرار السياسى ، إذ من خلال الإلكترونيات يمكن للمقيمين في ضاحية ما فى كولومبوس - على سبيل المثال - أن يقترعوا على

الفور على مقترحات تتعلق بقضايا عملية مثل تقسيم المناطق ، وقوانين الإسكان ، وإقتراح إنشاء طريق سريع .

إن استخدام أجهزة الكمبيوتر الأكثر تقدما الآن ، وكذلك الأقمار الصناعية ، والتليفونات ، والكابلات، وأساليب الاقتراع ، والشبكات الدولية (الإنترنيت) Internet يجعل في مقدور المواطنين المتعلمين أن يبدأوا فى صنع الكثير من القرارات السياسية التى تهمهم ، إذ لم نعد نستطيع أن نحل مشكلاتنا بأيديولوجيات، ونماذج الموجة الثانية ،وهياكلها المتخلفة .

* والمبدأ الحيوى الثالث لنظم الغد السياسية هو مبدأ « تقسيم القرار » Decision Division .وتبرز أهمية هذا المبدأ إذا ما عرفنا أن فتح النظام أمام مزيد من سلطة الأقلية ، والسماح للمواطنين بأن يمارسوا المزيد من الديمقراطية المباشرة أمر ضرورى ، ولكنه يحملنا إلى مسافة فقط من الطريق ، ومن ثم، يساعد تقسيم القرار على تحطيم العقبة أمام القرارات ، ووضع القرارات في المكان الذى تتلاءم فيه . ومن ثم كذلك ،لا يعنى تقسيم القرار مجرد تغيير القيادات ، إنما هو ترياق Antidote لصياغة القرار السياسى - الأمر الذى يساعد أيضا علي بناء مؤسسات سياسية قادرة علي صنع القرار السياسي علي كافة المستويات ، وفى مختلف الأماكن .

ومما يستلزم تقسيم القرار - كما يرى المؤلفان - أن هناك بعض

المشكلات التى لا يمكن حلها علي المستوى المحلى، أو على المستوى القومى، إذ يتطلب البعض منها العمل علي مستويات كثيرة في وقت واحد . كذلك فإن المكان المناسب لحل مشكلة مالم يبق ثابتا ، فهو يتغير بمرور الزمن .

ويرى المؤلفان أنه لكى يمكن حل مشكلة القرار في هذه الأيام، والتى تنبثق من الحمولة الزائدة للمؤسسات ،فإننا نحتاج إلي أن نقسم القرارات، ونعيد توزيع حصصها على نطاق أكثر اتساعا ، ونغير موقع صنع القرار كلما تطلبت المشكلات ذلك .

وهما يؤكدان أن القرارات التى تتخذ على المستوى عبر القومى transnational level غير كافية. كما أن قليلا من القرارات تتم على المستوى تحت القومى Subnational level ، وهى الأقاليم ، والولايات ، والمقاطعات ، والمحليات .

فعلى المستوى عبر القومى نحن في مرحلة البداءة السياسية، أو التخلف مثلما كان عليه الحال عند بدء الثورة الصناعية . وعندما نحول بعض القرارات إلي أعلى من الدولة القومية(الدولة - الوطن) "nation- state" ،فإننا نجعلها تعمل بفعالية على المستوى الذى توجد فيه الكثير من مشكلاتنا . كذلك في الوقت نفسه نخفف عبء القرار عن الوسط الذى يئن بحمولته ، وهو الدولة القومية ، أو الدولة - الوطن .

ولكن تحريك القرارات إلى أعلى يمثل نصف المهمة فقط ، إذ من الضرورى أيضا تحريك قدر كبير من اتخاذ القرار من الوسط إلي أسفل . والمسألة -إذن- ليست مسألة تتعلق باللامركزية في مواجهة المركزية ، بل هى مسألة تتعلق بإعادة التخصيص الواعى والعاقل لاتخاذ القرار .

وهما يريان أن اللامركزية ليست ضمانا للديمقراطية ، فالسياسات المحلية كثيرا ما تكون أكثر فساداً من السياسات القومية . كما يؤكدان أنه ليس من الممكن لأى مجتمع أن يفكك النشاط الاقتصادى ، والاتصالات ، وعمليات أخرى حاسمة دون أن يضطر - آجلا أو عاجلا - إلى أن يجعل صنع القرار الحكومى لامركزيا أيضاً .

* والمبدأ الرابع الحيوى لصنع سياسات الغد، وديمقراطية القرن الحادى والعشرين هو مبدأ الصفوة الموسعة The Fxpanding Elite .

ويذكر المؤلفان هنا أن مفهوم عبء القرار Decision load مهم لأى فهم للديمقراطية ، فكل المجتمعات تحتاج - كما وكيفا إلى قدر معين من القرارات السياسية حتى يمكن أن تعمل وتتحرك .

ثم يضيف المؤلفان أن لكل مجتمع بنية القرار الخاصه به ، وكلما كثرت ،واختلفت، وتزايدت، وتعقدت القرارات المطلوبة لتسيير المجتمع ، كلما ثقل عبء القرار السياسى ،والطريقة التى تتم بها المشاركة في هذا العبء تؤثر جذريا فى مستوى الديمقراطية في المجتمع .

واليوم ، وفي كل مجال من الحياة الاجتماعية ، وفى أسرنا ،وفي مدراسنا ، وفى أعمالنا ، وكنا نسنا ، وفي نظم الطاقة ، والاتصالات نواجه ونستشعر الحاجة إلى إيجاد أشكال جديدة للموجة الثالثة . ومع ذلك ، فليس هناك مكان يزداد فيه البلى، أو التقادم مثلما يحدث في حياتنا السياسية . ولذا فإن بناء هياكل سياسية جديدة لحضارة الموجة الثالثة لن يحدث فى انتفاضة مفردة من الذروة ، ولكن سوف يحدث نتيجة لآلاف الإبداعات ، والابتكارات ، والصدامات علي كثير من المستويات في كثير من الأماكن علي امتداد عشرات السنين .

ولذا أيضا ، فإن الصفوة - مهما كانت درجة التنوير لديهم - لا يستطيعون بأنفسهم أن يصنعوا حضارة جديدة . ومن ثم ،فطاقات الناس كلها مطلوبة . وهذه الطاقات متاحة ،ولكنها تنتظر أن يفجرها أحد. وإذا ما وضعنا فى تخطيطنا - لاسيما فى الدول ذات التكنولوجيا الرفيعة - أن يكون هدفنا للجيل القادم وضع دساتير لمؤسسات جديدة تماما ، فإننا نكون قد أطلقنا شيئاً أقوى من أية طاقة ، ألا وهو الخيال الجماعى .

وكلما أسرعنا فى البدء فى بناء مؤسسات سياسية بديلة تقوم على المبادئ الثلاثة التى أسلفنا الحديث عنها - وهى سلطة الأقلية ،

والديمقراطية غير المباشرة، وتقسيم القرار - كلما كانت فرص التحول السلمى إلى الديمقراطية أفضل وأحسن .

وهذا يعنى أنه لكى نتجنب أية انتقاضة عنيفة، فإننا يجب أن نبدأ الآن فى التركيز علي مشكلة البلى، أو التقادم في السياسة ، وفى الهياكل السياسية حول العالم . كما لا يجب أن نعرض هذه المسألة على الخبراء ، لاسيما خبراء الدساتير، والمحامين، والساسة فحسب ، بل على الجمهور نفسه من تنظيمات مدنية، واتحادات عمالية ،وكنائس، وتجمعات المرأة ، والأقليات العرقية والعنصرية، والعلماء ، وربات البيوت ،ورجال الأعمال .

وحول الحاجة إلى نظام سياسى جديد يتناغم مع احتياجات حضارة الموجة الثالثة يجب علينا أن نجرى أكبر قدر من المناقشة العامة . فنحن فى حاجة إلى مؤتمرات ، وبرامج تليفزيونية ، ولقاءات، وتدريبات علي التقليد والمحاكاة من أجل إثارة المقترحات التخيلية اللازمة لإعادة بناء الهيكل السياسى ، ومن أجل الكشف عن الأفكار الجديدة .

ويضيف المؤلفان أننا مطالبون أيضا بأن نفكر في آلاف التجارب الواعية غير المركزية ، والتى تسمح لنا بأن نجرب نماذج جديدة من صنع القرار السياسى علي المستوين المحلى والأقليمى قبل تطبيقها علي المستوى عبر القومى، أو المستوي القومى .

ومن خلال عملية كبيرة من التعلم الاجتماعى - وهى تجربة في الديمقراطية التوقعية فى كثير من الدول فى آن واحد - يمكن أن نعد الملايين لمواجهة الأزمات الخطيرة التى ترتقبنا ، كما يمكن - من خلال القضاء علي الهجوم الشمولى الاستبدادى - أن نقوم بضغط استراتيجى على النظم السياسية القائمة للإسراع بالتغييرات الضرورية .

وبدون هذا الضغط الهائل من أسفل لا يمكننا أن نتوقع أن يتخلي الكثير من الزعماء اليوم عن المؤسسات التى تعطيهم الهيبة، والمكانة ،والثروة ،فضلا عن بريق السلطة ووهمها ، إن لم يكن واقعها .

ولكن معظم هؤلاء الزعماء سوف يتحركون فقط عندما تصبح المطالب من الخارج قوية بشكل لا يقاوم . وعندما تصل الأزمة إلى ما يقرب من العنف ، فلا يكون أمامهم أى بديل سوى التخلى عن الكثير من مكاسبهم .

ثم يقرر المؤلفان أن ما نطلق عليه لفظ الديمقراطية يتفجر فقط عندما يتضخم عبء القرار فجأة بما يتجاوز قدرة الصفوة القديمة فيما قبل الموجة الثالثة على تحمله ومعالجته .

ومع قدوم الموجة الثالثة كان لابد من إعادة حشد مجموعات جديدة من الصفوة الخاصة بالقرار ، وكذا الصفوة الفرعية لتتحمل

عبء القرار .

وهكذا - ومن وجهة نظر المؤلفين - فإن التوسع في حشد مجموعات جديدة من الصفوة ، أى المتخصصين فى السلطة يعنى حشد دماء جديدة تساعد علي حمل عبء القرار الذى اتسع وثقل ، وإذا ثقل العبء فيجب أن يقتسم من خلال المشاركة الديمقراطية الأوسع ، أى التوسع في حشد مجموعات من الصفوة .

وفي ضوء ذلك كله، يمكن القول بأنه من المرجح أننا قد نكون - كما يرى المؤلفان - على أطراف قفزة ديمقراطية أخرى إلي الأمام ، ذلك لأن الإنفجار الداخلى لصنع القرار - والذى يقهر الآن رؤساءنا ورؤساء القرارات والحكومات - يستلزم التوسيع الجذرى للمشاركة السياسية من خلال التوسع في حشد مجموعات أخرى من الصفوة علي كافة المستويات .

* والمبدأ الخامس اللازم لبناء هياكل سياسية جديدة ولتحقيق ديمقراطية القرن الحادى والعشرين هو ما يسمى "بقدر أو مصير يجب أن نصنعه " A Destiny to create .

ويقرر المؤلفان هنا أن بعض الأجيال تولد لكى تقوم بأعمال خلاقة ، وبعضها يولد ليبنى حضارة، ويدعمها .

وقد كانت الأجيال التى أطلقت الموجة الثانية من التغير التاريخى مضطرة - بقوة الظروف - أن تكون خلاقة ومبدعة .

لذلك ، يرى المؤلفان أن مسئولية التغيير تكمن فينا ، إذ يجب أن نبدأ بأنفسنا : نعلم أنفسنا ألا نغلق عقولنا مسبقا عن الجديد والمدهش . وهذا يعنى مقاتلة مغتالى الأفكار الذين يندفعون لقتل ووأد أى اقتراح جديد بحجة أنه غير عملى ، كما يعنى الاقتتال من أجل الحرية فى التعبير ، أى حرية الناس فى أن يصرحوا بآرائهم حتي ولو كانت هرطقة .

كما يعنى ذلك أن نبدأ هذه العملية لإعادة البناء الآن قبل أن يدفع المزيد من التفكك فى النظم السياسية القائمة بقوات الاستبداد والبيروقراطية يجوبون الشوارع ، ومن ثم يجعلون من المستحيل أن يتحقق التحول السلمى إلى ديقمراطية القرن الحادى والعشرين .

ثم يختتم المؤلفان الفصل الأخير بالتأكيد علي أن الأطفال الأمريكيين ،وآباءهم يسهمون في العملية المثيرة لإعادة تشكيل الحضارة نفسها ، وليست الهياكل السياسية العتيقة فقط ، وأن لدى الأمريكيين قدراً، أو مصيراً يجب أن يصنعوه مثلما فعل جيل الثوار الموتى !

رقم الإيداع ١٠٣٢٠/ ١٩٩٥
الترقيم الدولى ٨ - ٨١٤٥ - ٠٦ - ٩٧٧ I.S.B.N

مطابع الأهرام التجارية - قليوب